موتى بلا قبور

مسرحية في فصلين واربع لوحات

الاشخاص

فرنسوا
سوربيه
كانوري
لوسي
هنري
جندي اول (من الмليشيا)
جان
كلوسه
لاندريو
باوران
كوربيه
جندي ثانٍ (من المليشيا)

الديكور

اللوحة الاولى :

عُلِيَّة وكل ما يمكن ان تحتويه من اشياء غريبة : عربة ولد، حقيبة قديمة . الخ ..... و « شخص » تستعمله الخياطات .

اللوحة الثانية :

قاعة درس مع صورة لـ « بتان » معلقة على الجدار .

اللوحة الثالثة :

علية اللوحة الأولى .

اللوحة الرابعة :

قاعة درس اللوحة الثانية .

البسة جنود المقاومة والمليشيا

اللوحة الأولى

عُلِيَّة تضيئها كوة في السقف . امتعة غريبة مبعـــثرة هنا وهناك : حقائب ، موقد قـــديم ، شخص تستعمله الخياطات . كانوري وسوربيه جالسان ، احدهمـــا على حقيبة والآخر على منصب قديم . لوسي جالسة على الموقد . انهم مقيدون بالسلاسل. فرانسوا يذرع الغرفة جيئة وذهاباً . إنه هو ايضاً مقيد . هنري ينام مستلقياً على الأرض .

المشهد الأول

كانوزي ، سوربيه ، فرنسوا لوسي ، هنري .

فرنسوا : اتراك لن تتكلم اخيراً ؟

سوربيه : (رافعاً رأسه) وما الذي تريد ان يقال ؟

فرنسوا : اي شيء ، شرط ان يحدث ضجة .

(تسمع فجأة موسيقى عامية صاخبة صادرة عن راديو الطابق السفلي) .

سوربيه : تلك هي ضجة .

فرنسوا : ليست هذه . فأنها « ضجتهم » (يستأنف مشيته ثم يتوقف فجأة) ها !

سوربيه : وماذا هناك ايضاً ؟

فرنسوا : انهم يسمعونني ويقولون فيما بينهم : هـوذا اولهم تثور اعصابـه .

كانوري : ولكن لا تدع اعصابك تثور. اجلس وضع يديك على ركبتيك يخفّ الم قبضتيك . ثم الزم الصمت وحـاول النوم او فكّر .

فرنسوا : وما جدوى ذلك ؟

(كانوري يهز كتفيه . فرنسوا يستأنف مشيته) .

سوربيه : فرنسوا !

فرنسوا : ماذا ؟

سوربيه : ان حذاءك يطقطق .

فرنسوا : اني أتعمّد ان يطقطق . (هنيهة . يتقدم وينتصب امام سوربيه) ولكن بمَ عساك تفكر ؟

سوربيه : (رافعاً رأسه) اتريد ان اقول لك ذلك ؟

فرنسوا : (ينظر اليه ويتراجع قليلا) كلا ! لا تقله .

سوربيه : اني افكر في الصغيرة التي كانت تصرخ .

لوسي : (تخرج فجأة من حلمها) — اية صغيرة ؟

سوربيه : صغيرة المزرعة . لقد سمعتها تصرخ عندما كانوا يقتادوننا . وكانت النار قد شبت في السلم .

لوسي : صغيرة المزرعة ؟ ما كان ينبغي ان تقول لنا ذلك .

سوربيه : لقد مات كثير غيرها من الاولاد والنساء . ولكنني لم اسمعهم يموتون . اما الصغيرة فكأنها لا تزال تصرخ . ولم يكن بوسعي ان احتفظ لنفسي بصرخاتها .

لوسي : كانت في الثالثة عشرة من عمرها . وهي انما ماتت من اجلنا .

سوربيه : انما ماتوا جميعاً من اجلنا .

كانوري : (لفرنسوا) كان خيراً لك ان لا تتكلم .

فرنسوا : اننا لن نتباطأ على اي حال . فلعلك ترى بعد حين

ان الحظ حليفهم .

سوربيه : انهم لم يقبلوا ان يموتوا .

فرنسوا : وهل تراني انا قد قبلت ؟ انه ليس ذنبنا ان تكون القضية قد اخفقت .

سوربيه : بلى ! انه ذنبنا .

فرنسوا : لقد اطعنا الأوامر .

سوربيه : اجل !

فرنسوا : لقد قالوا لنا : اصعدوا هناك واحتلوا القرية فقلنا لهم ان هذا لسخيف ، فسيبلغ الألمان ذلك خلال الأربع والعشرين ساعة . فأجابونا : اصعدوا على كل حال واحتلوها . عنـد ذلك قلنا « حسناً » وصعدنا ، فأين هو ذنبنا ؟

سوربيه : كان ينبغي ان ننجح .

فرنسوا : لم يكن بوسعنا ان ننجح .

سوربيه : اعرف ذلك ، ولكن كان يجب ان ننجح (هنيهة) ثلاثمئة . ثلاثمئة لم يقبلوا ان يموتوا ، وقد ماتوا من اجل لا شيء . انهم يرقدون بين الأحجار ، تسوّدهم اشعة الشمس . لا بدّ انهم يُروَن من جميع النوافذ . من اجلنا ! اجل من اجلنا لم يبقَ في هذه القرية الا جنود من الميليشيا وموتى وأحجار . ما اقسى ان يموت الأنسان وفي اذنيه هذه الصرخات !

فرنسوا : (صارخاً) دعنا من امواتـك . انا اصغركم سناً . وكل ما عملت انني اطعت . اني بريء ! بريء ! بريء !

لوسي : (برفق وقد حافظت على هدوئها من اول المشهد السابق الى

آخره) – فرنسوا !

فرنسوا : (دهشاً وبصوت خافت) ماذا ؟

لوسي : تعال اجلس الى جانبي يا اخي الصغير (يتردد – فتعيد الكرة ممنة في الرفق) تعال (يجلس . تمر يديها المقيدتين بصعوبة على خده) ما أشد حرارتك ؟ اين منديلك ؟

فرنسوا : في جيبي ولا أستطيع الوصول اليه .

لوسي : في هذا الجيب ؟

فرنسوا : اجل !

(لوسي تمد يدها الى جيب سترته وتتناول منه بصعوبة منديلاً تمسح بــه وجهه) .

لوسي : انك تسبح في العرق وترتجف ، فلا ينبغي ان تمشي هذه المدة الطويلة .

فرنسوا : حبذا لو تمكنت من خلع سترتي ...

لوسي : لا تفكر في هذا الأمر ما دام مستحيلاً (يشد عــلى السلاسل) لا ! لا تأمل ان تحطمها ، فان الأمل شاقّ . حافـظ على هدوئك وتنفس برفق. تظاهر بأنك ميت. فأنا ميتة وهادئة. انني ادّخر قواي .

فرنسوا : ولماذا ؟ التتمكني عما قليـل من الصراخ بصورة أعنف ؟ يا له من توفير تافه ! لم يبق الا وقت قليل ، وبودي ان اكون في آن واحد في كل مكان . (يهم بأن ينهض) .

لوسي : ابق هنا .

فرنسوا : ينبغي ان ادور لأنني حالما اتوقف عن الحركـة ،

فان فكري هو الذي يأخذ في الدوران،وانا لا اريد ان افكر.

لوسي : مسكين انت ايها الصغير .

فرنسوا :(يتراخى امام ركبتي لوسي)– لوسي ! ان كل شيء على غاية من القسوة ! انني لا استطيع ان انظر الى وجوهكم فهي تخيفني .

لوسي : ضع رأسك على ركبتي . اجل ، كل شيء على غاية من القسوة ، وانت على غاية من الصغر . الا ليت احداً يتبسم لك ويقول : ايها المسكين الصغير . كنت فيما مضى احمل عنك اتراحك ، ايها المسكين الصغير . ايها المسكين الصغير (تنهض فجأة) بتّ لا أطيق ! لقد جفت مآقي من العذاب ، فبتّ لا استطيع البكاء .

فرنسوا :لا تتركيني وحيداً،فان افكاراً اخجل منها تراودني.

لوسي : اسمع . ان هناك « من » يستطيع ان « يساعدك » ... فأنا لست وحيدة ... (هنيهة) ان جان معي ؛ فلو كان بوسعك ...

فرنسوا : جان ؟

لوسي : انهم لم يعتقلوه . انه يتوجه نحو غرنوبل ، وهو الذي سيبقى وحده منا على قيد الحياة غداً .

فرنسوا : وما عساه فاعلٌ بعد ذلك ؟

لوسي : انه سينضم الى الآخرين،وسيستأنفون العمل في مكان آخر . ثم تنتهي الحرب ويعيشون في باريس بهدوء ، وسيكون لديهم صور حقيقية على هويات حقيقية . وسيدعوهم الناس بأسمائهم

الحقيقية .

فرنسوا : وماذا بعد ؟ لقد واتاه الحظ . فما شأني في ذلك ؟

لوسي : انه يهبط عَبْر الغابة . هناك في الأسفل اشجار من الحور على طول الطريق . انه يفكر بي . لم يبق في العالم غيره من يفكر بي بمثل هذه الرقة . وانت ايضاً يفكر بك ، ويفكر بأنك مسكين صغير . حاول ان ترى نفسك بعينيه . ان بوسعه ان يبكي .

(تبكي)

فرنسوا : وانتِ ايضاً تستطيعين البكاء .

لوسي : انني ابكي بدموعه .

(هنيهة . فرنسوا ينهض فجأة)

فرنسوا : كفى تمثيلاً . فقد يؤول بي الأمر الى بغضه .

لوسي : لقد كنت تحبه مع ذلك .

فرنسوا : لم اكن احبه مثلك .

لوسي : اجل ! لم تكن تحبه مثلي .

(تسمع خطوات في المشى . يُفتح الباب . لوسي تنهض فجأة . الجندي ينظر اليهم ثم يغلق الباب) .

سوربيه : (هازّاً كتفيه) انهم يلهون . فلماذا قمتِ ؟

لوسي : (عائدة الى الجلوس) لقد اعتقدت انهم اتوا ليقتادونا .

كانوري : لن يأتوا بهذه السرعة .

لوسي : ولم لا ؟

كانوري : انهم يخطئون اذ يعتقدون ان الأنتظار يثبط الروح المعنوية .

سوربيه : وهل هذا خطأ ؟ ليس من السهل الأنتظار حين تتقاذف الأنسانَ الأفكار .

كانوري : بالطبع . ولكن الوقت من جهة ثانية يتيح للمرء ان يستعيدَ روعه . لقد حدث لي ذلك للمرة الأولى في اليونان في عهد « متاكساس » . لقد اتوا يلقون القبض عليّ في الساعة الرابعة صباحاً . ولو ضغطوا علي قليلًا لكنت تكلمت . ولكن المدهش انهم لم يسألوني شيئاً . وبعد انقضاء عشرة ايام لجأوا الى الأساليب المرهقة . ولكن ذلك جاء بعد فوات الاوان : لقد فاتهم تأثير المفاجأة .

سوربيه : وهل ضربوك ؟

كانوري : يا للهول !

سوربيه : بقبضاتهم ؟

كانوري : بقبضاتهم وبأرجلهم .

سوربيه : وهل حدثتك نفسك بالاعتراف ؟

كانوري : كلا ! ما داموا يضربون ، فالامر محتمل .

سوربيه : آه ! الأمر محتمل (هنيهة) ولكن حين ينهال ضربهم على عظام الساقين او المرفقين ؟

كانوري : كلا ! كلا! فالأمر يظل محتملًا (برفق) . سوربيه!

سوربيه : ماذا ؟

كانوري : ينبغي ان لا نخشاهم . فهم قاصرو الخيال .

سوربيه : انما اخشى نفسي أنا .

كانوري : ولكن لماذا ؟ فليس لدينا ما نقوله ، وهم يعرفون

كل ما نعلمه . اسمع (هنيهة) ليس الأمر قط كما يتصوره المرء .

فرنسوا : وكيف هو إذن ؟

كانوري : ليس باستطاعتي ان اقوله لك . اليك مثلاً كيف بدا لي الوقت قصيراً (يضحك) لقد كانت اسناني من شدة الانطباق بحيث انني بقيت ثلاث ساعات من غير ان استطيع فتح فمي . لقد حدث ذلك في « نوبلي » ؛ وكان هناك شخص ينتعل حـــذاء عالياً على الطراز القديم ، رقيق الرأس . وكان يقذف به وجهي . وكان ثمة نساء يغنين تحت النافذة ، وقد حفظتُ الغناء .

سوربيه : في « نوبلي » ؟ وفي اي عام ؟

كانوري : عام ٩٣٦

سوربيه : نعم ، لقد مررتُ هناك . كنت قـد قدمت الى اليـونان عـلى الباخرة « تيوفيل غوتيه » ، وكنت اقوم برحلة كشفية . ولقد اتيح لي ان اشاهد السجن ، وكان ثمة اشجار صبّار ملتصقة بالجدران . لقد كنتَ اذن داخـل السجن ، بينما كنت انا في الخارج ؟ (يضحك) ان هذا لطريف !

كانوري : اجل ! انه طريف !

سوربيه : (فجأة) وما عساك فاعل لو داعبوك برقة ؟

كانوري : ماذا ؟

سوربيه : لو داعبوك بآلاتهم ؟ (كانوري يهز كتفيه) أتصور انني سأدافع عن نفسي بالتواضع . وفي كل دقيقة سأقول لنفسي : سأصبر دقيقة اخرى . ترى ، اتكون هذه طريقة حسنة ؟

كانوري : ليس ثمة من طريقة .

سوربيه : ولكن ما عساه يكون تصرفك انت ؟

لوسي : الا تستطيع الصمت ؟ انظر الى الصغير : أتعتقد انك تساعده على ان يكون رابط الجأش ؟ انتظر قليلاً يوافوك بالخبر اليقين .

سوربيه : دعينا وشأننا ! ليسدّ اذنيه اذا كان لا يود السمع .

لوسي : وهل ينبغي ان اسدّ أنا ايضاً اذني ؟ انا لا احب ان اصغي اليكما لأنني اخشى ان احتقركما . هل انتما بحاجة للتفوه بكل هذه الكلمات لتظلاّ رابطي الجأش؟ لقد رأيتُ الحيوانات تموت ، واود لو اموت مثلها : بصمت !

سوربيه : ومن يحدثك عن الموت ؟ اننا نتحدث فيما عساهم فاعلون بنا قبل ذلك . فمن الواجب ان نستعد للأمر .

لوسي : انا لا اريد ان استعدّ له، فلماذا احيا مرتين هذه الساعات التي ستأتي ؟ انظر الى هنري : انه ينام ، فلماذا لا ننام مثله ؟

سوربيه : أنام ؟ ثم يأتون فيوقظونني وهم يهزونني ؟ كلا ! لا اريد ذلك ، فليس لدى وقت أضيعه .

لوسي : فكر اذن بما تحب . اما انا فافكر بجان ، وبالحياة ، وبالصغير عندما كان مريضاً وكنت اتولى العناية به في احد فنادق « اركاشون ». كان ثمة اشجار صنوبر وموجات كبيرة من الخضرة كنت اراها من نافذتي .

سوربيه : (بهزء) حقاً ! امواج من الخضرة ؟ اقول لك انه ليس لدى وقت اضيعه .

لوسي : سوربيه ، بتُّ لا اعرفك .

سوربيه : (خجلا) حسناً ! انها الأعصاب . ان لي اعصاب عذراء (ينهض ويتقدم نحوها) لكل انسان طريقته في الدفاع . وانا لا اساوي شيئاً اذا أُخذت على حين غرة . لو كان بوسعي تحسس الألم قبل حصوله-ولو قليلاً ليتسنى لي التعرف اليه عند الاقتضاء- لكنت اكثر تيقناً من نفسي. ليس الذنب ذنبي، فقد كنت دوماً مدققاً (هنيهة) انت تعلمين انني احبك كثيراً . ولكنني احسني وحيداً (هنيهة) اذا اردتِ ان اصمت .....

فرنسوا : دعيهم يتحدثون. فالمهم هو الضجة التي يحدثونها .

لوسي : افعلوا ما يحلو لكم .

(صمت)

سوربيه : (بصوت اكثر خفوتاً) أي كانوري ! (كانوري يرفع رأسه) ارأيت ، انت ، اشخاصاً سبق ان ادلوا باعترافاتهم ؟

كانوري : اجل رأيت .

سوربيه : اذن ؟

كانوري : وما شأنك في ذلك ما دام ليس لدينا ما نبوح به؟

سوربيه : اود ان اعرف هل كانوا يطيقون العذاب ؟

كانوري : الأمر يتفاوت حسب الاشخاص . ان احد هؤلاء اطلق على وجهه النار من بندقية صيد ، فلم يفلح الا في ان يعمي بصره . ولقد كنت اصادفه احياناً في شوارع « البيره » تقوده امرأة ارمنية . كان يعتقد انه كفّر عن عمله . وكل واحد منهم يقرر ما اذا كان قد كفر عن عمله ام لا . ولقد صرعنا رجلاً آخر

في معرض حين كان يشتري « راحة الحلقوم » . وكان منذ خروجه من السجن قد أولع « براحة الحلقوم » لأنها سكرية الطعم .

سوربيه : يا له من محظوظ !

كانوري : كفى !

سوربيه : اذا ما اضطررت للكلام،فأنه ليدهشني ان اتغذى بالحلوى .

كانوري : يقال ذلك . ولكن المرء لا يعرف الحقيقة ما لم يمر بالتجربة .

سوربيه : على كل حال ، لا أحسب انني سأظل احبّ نفسي كثيراً بعد التجربة ، واعتقد انني سوف الجأ الى بندقية الصيد .

فرنسوا : اما انا فأني افضل « راحة الحلقوم »

سوربيه : فرنسوا !

فرنسوا : مالك تنادي فرنسوا ؟ هل انبأتني حين اتيت الى لقائك ؟ لقد قلت لي : ان المقاومة بحاجة الى رجال ، ولم تقل لي انها بحاجة الى ابطال . وانا لست بطلاً ، لست بطلاً ! لست بطلاً ! لقد قمت بما قيل لي : وزعت النشرات ونقلت الأسلحة . وقد كنتم تقولون انني كنت دائم البشاشة . ولكن احداً لم يخبرني بما ينتظرني في النهاية . اقسم لكم انني لم اعرف قط السبيل الذي كنت اسلكه .

سوربيه : بلى ! كنتَ تعرفُ ذلك . كنت تعرف ان

« رينه » قد عُذِّب .

فرنسوا : لم افكر قط في هذا الأمر (هنيهة) ان الصغيرة التي ماتت ، كنتم ترثون لحالها ، وكنتم تقولون انها انما ماتت من اجلنا . وانا ، اذا ما تكلمت حين يحرقونني بلفائفهم فأنكم ستقولون عني : إنه جبان ، وستقدمون لي بندقية صيد ، هذا اذا لم تطلقوا علي النار في ظهري . ومع ذلك فاني لا أكبرها بأكثر من سنتين .

سوربيه : كنت أكلم نفسي .

كانوري : (مقترباً من فرنسوا) لم يبق عليك اي واجب يا فرنسوا . ليس ثمة واجب ولا اوامر ، اننا لا نعلم شيئاً وليس لدينا ما نخفيه . وعلى كل منا ان يتدبر امره حتى لا يتألم اكثر مما ينبغي . والوسائل ليست ذات اهمية .

(يعاود فرنسوا الهدوء رويداً رويداً ولكنه يظل خائر القوى. لوسي تضمه الى صدرها)

سوربيه : اجل ان الوسائل ليست ذات اهمية ... اصرخ وابكِ وتضرعْ واطلب منهم الغفران ونقّب في ذاكرتك لعلّك تجد شيئاً تعترف به امامهم او شخصاً تسلمهم اياه : فما الضرر في ذلك ما دمت لا تخاطر بشيء ؟ انك لن تجد شيئاً تفضي به ، وبذلك تبقى جميع الشوائب الوضيعة سريّة بحتة . ولعل ذلك أفضل (هنيهة) . انني لست متأكداً من ذلك .

كانوري : ما الذي تودّه ؟ ان تعرف اسماً او تاريخاً حتى

يمكنك ان ترفض الافضاء به اليهم ؟

سوربيه : لا ادري . بل لست ادري اذا كان بوسعي ان الزم الصمت .

كانوري : واذن ؟

سوربيه : أودّ لو اعرف نفسي . كنت اعلم انهم سينجحون أخيراً في القبض عليّ وانه سوف يأتي يوم اراني فيه وحيداً امام نفسي وقد اعيتني الحيلة وسدت في وجهي المنافـــذ . وكنت اتساءل عما اذا كنت استطيع تحمل الصدمـة . ان جسدي هو الذي يقلقني ، أتفهم ذلك ؟ ان بنيتي ليست على ما يرام ، وإن لي اعصاب النساء . وقد حلّ الوقت الذي سيسلطون فيه آلاتهم عليّ . ولكني سُلبت : فاني سأتعذب من أجل لا شيء ، وسأموت من غير ان اعرف قيمة نفسي .

(تتوقف الموسيقى . ينتفضون ويصيخون السمع .)

هنري : (مستيقظاً فجأة) ما هذا ؟ (هنيهة) لقد انتهى عزف «البولكا» واحسب ان علينا نحن ان نرقص . (تستأنف الموسيقى) لقد كان الانذار كاذباً . ما اشد حبهم للموسيقى (ينهض) كنت احلم انني كنت ارقص في «شهرزاد» . انكم تعرفون «شهرزاد» في باريس . اما انا فلم اذهب اليها قط (يستيقظ رويداً رويداً) . آه ! ها انتم اولاء ... ها انتم اولاء ! هل تريدين ان ترقصي يا لوسي ؟

لوسي : لا .

هنري : ترى ، هل يؤلمك معصماك ، انت ايضاً ؟ لا بدّ ان

اللحم قد تورّم اثناء نومي . كم هي الساعة ؟

كانوري : الساعة الثالثة .

لوسي : الساعة الخامة .

سوربيه : الساعة السادسة .

كانوري : اننا لا ندري .

هنري : لقد كان لديك ساعة .

كانوري : لقد كسروها على معصمي . ان ما هو اكيد انك نمت وقتاً طويلًا .

هنري : انه وقت سرقوه مني (لكانوري) ساعدني (يرقى هنري على كتفي كانوري ويرتفع حتى الكوة) يبـدو من الشمس ان الساعة هي الخامسة . ان لوسي هي التي كانت على حق (ينزل ثانية(ان دار البلدية لا تزال تحترق. اذن ، فانت لا تريدين ان ترقصي؟ (هنيهة) . انني اكره هذه الموسيقى .

كانوري : (بلامبالاة) باه !

هنري : لا بد أنها تُسمع من المزرعة .

كانوري : لم يبق ثمة احد ليسمعها .

هنري : اعرف ذلك . انها تدخل من النافـذة وتحوم فوق الجثث . الموسيقى والشمس : انها لوحة. والاجسام سوداء تماماً. آه ! لقد ذهب سعينا سدىً . (هنيهة) . ما بال الصغير ؟

لوسي : ان حالته ليست على ما يرام . ها قد انقضت ثمانيـة ايام من غير ان يغمض له جفن. كيف وجدت الى النوم سبيلًا؟

هنري : لقد جاءني النوم من تلقاء ذاته . وقد الفيتني وحيداً الى حد ان راودني النعـــاس . (يضحك) نحن منسيون من الدنيا بأجمعها . (يقترب من فرنسوا) . يا لك من طفل مسكين ... (يداعب شعره ثم يتوقف فجأة . لكانوري) اين ذنبنا ؟

كانوري : لا ادري . وهل يمكن ان يغير ذلك شيئاً ؟

هنري : ان ثمة خطأ ً وانا اشعر انني مذنب .

سوربيه : وانت ايضاً ؟ آه ! انني جـــد مغتبط لأني كنت اعتقد ان ليس ثمة غيري .

كانوري : حسناً ؛ وانا ايضاً اشعر انني مذنب . فهل يغـير ذلك شيئاً ؟

هنري : ما كنت اود ان اموت مذنباً .

كانوري : لا تشغل بالك بذلك : فـأنا على يقين من أن الرفاق لن يأخذوا علينا شيئاً .

هنري : لا ابالي بالرفاق . فالحساب يجب ان اؤديه الآن لنفسي فحسب .

كانوري : (ممتعضاً وبجفاء) واذن ؟ فانت انما تريد مُعرِّفاً ؟

هنري : تباً للمُعرِّف ! فالحساب يجب ان اؤديه الآن لنفسي فحسب . (هنيهة ، وكأنه يخاطب نفسه) مـــا كان ينبغي ان تجري الأمور على هذا الشكل . وكم كنت اتمـنى ان اكتشف ذلك الذنب ...

كانوري : لو تم ذلك لتقدمت كثيراً .

هنري : انني استطيع عندئذ ان اجابه ذلك الذنب ، وان اقول لنفسي : هو ذا السبب الذي اموت من اجله . يا الـهي ! لا يستطيع الأنسان ان يموت كالفأر من اجل لا شيء ومن غير ان يقول : أفّ .

كانوري : (يهز كتفيه) الله اعلم !

سوربيه : لماذا تهز كتفيك ؟ ان من حقه ان يبرر موتـه ، فهذا كل ما تبقى له .

كانوري : لا ريب في ذلك . فليبرره اذا استطاع .

هنري : شكراً على هذه الاجازة . (هنيهة) . انـك تحسن صنعاً اذا ما سعيت انت ايضاً الى تبرير موتك : فليس لدينـــا متسع من الوقت .

كانوري : موتي ؟ لماذا ؟ ومن يُفيد من ذلك ؟ انها قضية محض شخصية .

هنري : محض شخصية . اجل ! وبعد ذلك ؟

كانوري : لم استطع قط ان أولَع بالقضايا الشخصية سواءٌ أتعلقتْ بالآخرين ام بي .

هنري : (من غير ان يصغي اليه) ليتني استطيع ان اقول لنفسي انني عملت ما كان بوسعي . ولكنني ابالغ بـلا ريب في التمني . فطوال ثلاثين عاماً كنت أشعر انني مذنب ، لا لشيء الا لانني كنت اعيش . اما الآن فهناك البيوت التي تحـــترق بسبب خطأي ، وهناك هؤلاء الاموات الابرياء ، وأنا سأموت

مذنباً . ان حياتي لم تكن الا خطأ .

(كانوري ينهض ويسير نحوه)

كانوري : لستَ متواضعاً يا هنري .

هنري : ماذا تقول ؟

كانوري : انك تسيء لنفسك لانك لست متواضعاً . اما انا فاعتقد اننا متنا منذ زمن بعيد ، منذ اللحظة التي اصبحنا فيها بلا جدوى . وفي هذه اللحظة ، يبقى لنا أن نعيش شطراً يسيراً من حياةٍ بعد الموت وان نقتل بضع ساعات . ليس لديك من شيء تصنعه الا ان تقتل الوقت وان تثرثر مع جيرانك . لا ترهق نفسك يا هنري واسترح . إن من حقك ان تستريح لانه ليس بوسعنا بعد ان نفعل شيئاً هنا . استرح فليس ثمة أحد يُعوِّل علينا بعد ، اننا اموات لا شأن لهم . (هنيهة) . هذه هي المرة الاولى التي أقرّ فيها لنفسي الحق في الراحة .

هنري : انها المرة الاولى ، منذ ثلاث سنوات ، التي اجابه فيها نفسي من جديد . كانوا يصدرون لي الاوامر ، وكنت اذعن لها ، وكنت اجد في ذلك ما يبررني . اما الآن ، فما من احد يستطيع ان يعطيني اوامرَ وما من شيء يستطيع ان يبررني . اجل ! لم يبق لي الا شطر يسير من الحياة . أجل ! لم يبق لي الا الوقت الذي احتاجه لأنشغل بنفسي (هنيهة) كانوري ، لماذا ترانا سنموت ؟

كانوري : لانهم كانوا قد عهدوا الينا في مهمة خطرة ، فلم

نفلح في ادائها .

هنري : اجل هذا ما ، سوف يفكر فيه الرفاق ، هـــذا ما سوف يقال في الخطب الرسمية . اما انت ، فما رأيك في الامر ؟

كانوري : لا رأي لي ، فقد كنت احيا من اجـــل القضية ، وكنت اتوقع دوماً ان اموت مثل هذه الميتة .

هنري : اجل ، كنت تحيا من اجل القضية . ولكن لاتزعم انك تموت من اجلها . فقد يصح مثل هـذا الزعم لو نجحنا ومتنا اثناء العمل .... (هنيهة) سنموت لأنهم أعطونا اوامر سخيفة ، ولأننا لم نحسن تنفيذها ولن يكون موتنا مفيداً لأحد. ان القضية لم تكن بحاجة الى مهاجمة هذه القرية ،وهي لم تكن بحاجة الى ذلك، لأن المشروع كان مستحيل التحقيق . ان القضية لا تعطي ابداً امراً ما ولا تقول ابداً شيئاً ما ، انما نحن الذين نقرر ما يقتضي عمله من اجلها . دعنا من حديث القضية ، فلا مجـال لذلك هنا . قد يصح مثل هذا الحديث ما دمنا نعمل من اجلها . ولكن ينبغي بعد ذلك ان نلزم الصمت ، وعلى الاخص ان لا نتذرع بها في سبيل تعزيتنا الشخصية . لقد نبذتنا لأننا غـــير صالحين للاستعمال ، ولسوف تجد من يخدمها : ففي « لور » « ولـيل » و « كاركاسون » نساء تصنع الأولاد الذين سوف يحلون محلنا . لقد حاولنا ان نبرر حياتنا وقد أخفقنا في ضربتنا .سنموت الآن وسنكون امواتاً غير قابلين للتبرير .

كانوري : (بلا مبالاة) قد تكون على صواب . فلا شأن

لشيء مما يجري داخل هذه الجدران الاربعة . وسواء أتأملت ام يئست ، فلن يخرج من ذلك شيء .

(هنيهة)

هنري : الا ليتنا نستطيع ان نعمل شيئاً ، أي شيء ، او ان نخفي عنهم شيئاً .... (هنيهة) (لكانوري) هل لك زوجة ، انت ؟

كانوري : نعم في اليونان .

هنري : أتستطيع ان تفكر بها ؟

كانوري : انني احاول ، ولكن المكان بعيد .

هنري : (لسوربيه) وانت ؟

سوربيه : إن لي والدين في الشيخوخة . وهما يعتقدان انني في انكلترا . اظن انهما يجلسان الآن الى المائدة فهما يتعشيان باكراً . ليتني استطيع ان اتصور في قرارة نفسي انهما سيشعران فجأة بغصة ، او أن قلبيهما سيحدثهما بشيء ... ولكني على يقين من انهما هادئان تماماً . سوف ينتظرانني سنين طويلة بهدوء متزايد ، وسوف اموت في قلبيهما من غير ان يحسا ذلك . لا بد ان ابي يتحدث عن الحديقة ، فقد كان يتحدث دوماً عن الحديقة عند العشاء . وهو عما قليل ذاهب لسقاية الملفوف . (يتنهد) يا للشيخ المسكين ! لماذا افكر بها ؟ ان هذا لا يعزّي .

هنري : كلا ! ان هذا لا يعزّي . (هنيهة) ومع ذلك فأني اتمنى لو ان ابويّ يعيشان بعد . فليس لي من احد .

سوربيه : ليس لك من احد في الدنيا ؟

هنري : ليس لي من احد .

لوسي : (بحدة) انت غير محق . فان لك جان . ولنا جميعاً جان . لقد كان رئيسنا وهو يفكر بنا .

هنري : انه يفكر بك لأنه يحبك .

لوسي : بل يفكر بنا جميعاً .

هنري : (برفق) لوسي ! هل كنا نتحدث كثيراً عن امواتنا ؟ لم يكن لدينا وقت لدفنهم حتى في قلوبنا (هنيهة) كلا ؟ لن أُفقدَ من اي مكان ولن اترك اي فراغ . إن القطارات ملأى والمطاعم غاصّة ، والرؤوس محشوة بالهموم التافهة حتى لتكاد تنفطر . لقد انسللتُ خارج العالم، ومع ذلك بقي على امتلائه كالبيضة . يجب الاعتقاد بانني لست لازماً لا يُستغنى عنه . (هنيهة) كنت اتمنى ان اكون لازماً لا يُستغنى عنه بالنسبة لشيء ما او لأحد ما . (هنيهة) بالمناسبة ، كنت احبك يا لوسي . اني اقول ذلك لك الآن ، لان الامر بات غير ذي شأن .

لوسي : أجل ، بات الامر غير ذي شأن .

هنري : تلك هي القضية . (يضحك) لقد كان حقاً من العبث ان اولد .

(يفتح الباب .يدخل جنود من الميليشيا)

سوربيه : عموا صباحاً . (لهنري) لقد نالوا مرادهم منا ثلاث

مرات بينما كنت نائماً .

الجندي : أأنت تدعى سوربيه ؟

(صمت)

سوربيه : نعم انا .

الجندي : اتبعنا .

(صمت جديد)

سوربيه : على كل حال ، انني احب ان يبدأوا بي (هنيهة. يمشي نحو الباب) . اني اتساءل عما اذا كنت سأتعرف على نفسي. (عندما يهم بالخروج) هذه هي الساعة التي يسقي فيها ابي الملفوف .

المشهد الثاني

الاشخاص انفسهم ما عدا سوربيه

(صمت طويل ايضاً)

هنري : (لكانوري) . اعطني سيجارة .

كانوري : لقد أخذوا السكاير مني .

هنري : أسفاً .

(تعزف الموسيقى نوعاً من الفالس)

هنري : هيا نرقص يالوسي ، ما داموا يريدون ان نرقص .

لوسي : قلت لك كلا .

هنري : كما تشائين . لن تعوزني الراقصات .

(يقترب من التمثال ويرفع يديه المقيدتين ويجعلها تزلقان على اطراف كتفي التمثال وجنبيه . ثم يشرع في الرقص وهو يضمه الى صدره . تنقطع الموسيقى . هنري يتوقف ويضع التمثال ثم يرفع ذراعه ببطء ليتخلص منه)

لقد بدأوا .

(يصغون)

كانوري : هل تسمع شيئاً ؟

هنري : كلا .

فرنسوا : ما تظن انهم يفعلون به ؟

كانوري : لا ادري . (هنيهة) . اودّ لو يتحمل العذاب ، والا فأنه سيسيء الى نفسه اكثر مما يسيئون اليه .

هنري : سيتحمل العذاب حتماً .

كانوري : اتمنى لو يتحمله داخلياً ، فالامر أشقّ ، اذا لم يكن لدى الانسان ما يُدلي به .

(هنيهة)

هنري : انه لا يصرخ ، وهذا يعني انه يتحمل .

فرنسوا : ربما كانوا يستجوبونه فحسب .

كانوري : وهل هذا معقول ؟

(سوربيه يئن ، فينتفضون)

لوسي : (بصوت سريع وطبيعي اكثر ممايلبغي) لا بدّ ان يكون جان قد وصل الآن الى « غرنوبل » . فقد يدهشني ان تكون رحلته استغرقت اكثر من خمس عشرة ساعة . ولا بد ان يرى

نفسه مضحكاً ، فالمدينة هادئة والناس على سطوح المقـــاهي و « الفور كور » ليس الا حلماً بعد . (صوت سورييه يتضخم وصوت لوسي يعلو) . انه يفكر بنا ويسمع الراديو من النوافذ المفتوحة . الشمس تسطع على الجبال والوقت بعد ظهر يوم صيف والطقس رائع . (صرخات اشد) ها ! (ترتمي على حقيبة وتنتحب وهي تردد :) يا له من طقس رائع بعد ظهر يوم صيف .

هنري : (لكانوري) لن اصرخ .

كانوري : ستكون على خطأ ، لان في ذلك عزاءً وسلوى .

هنري : لن يكون بوسعي ان اتصور انكم تسمعونني وانهـا تبكي فوق رأسي .

(يبدأ فرنسوا بالارتعاش)

فرنسوا : (على قاب قوسين من النوبة) لا اظن ... لا اظن..

(اقدام في الممشى)

كانوري : اسكت ايها الصغير ، ها هم .

هنري : لمن الدور ؟

كانوري : لك او لي . سيتركون الفتاة والصغير للنهاية .

(يدور المفتاح في القفل) ليته دوري ، فأنا لا احب صرخات الآخرين .

(يفتح الباب ويدفع جان الى الغرفة . انه غير مقيد)

المشهد الثالث

الاشخاص انفسهم بالاضافة الى جان

(يطرف بعينيه لدى دخوله ليعتاد على الضوء الخافت. جميعهم التفتوا نحوه. يخرج الجندي ويغلق الباب خلفه)

لوسي : جان !

جان : اسكتي ولا تنطقي باسمي . تعالي الى جانب الجدار ، فربما كانوا ينظرون الينا من خصاص الباب (ينظر اليها) ها انت ذي ! ها انت ذي ! كنت اظن انني لن اراك ابداً . من هناك ؟

كانوري : كانوري .

هنري : هنري .

جان : انني لا احسن تمييزكم . هل « بيار » و « جاك » ؟

هنري : اجل .

جان : والصغير هو ايضاً هنا ؟ يا للصبي المسكين ! (بصوت خافت وسريع) كنت آمل انكم قضيتم نحبكم .

هنري : (ضاحكاً) لقد بذلنا ما في وسعنا .

جان : اني استشعر ذلك . (للوسي) ما بالك ؟

لوسي : اوه ! يا جان ! لقد انتهى كل شيء . كنت اقول لنفسي : انه في « غرنوبل » يجوب الشوارع وينظر الى الجبال و ... و ... والآن انتهى كل شيء.

جان : لا تنتحبي ، فإن كل الحظوظ متوفرة لخروجي من

هذه الورطة .

هنري : و كيف قبضوا عليك ؟

جان : لم يقبضوا عليّ بعد . لقد وقعت بأحدى دورياتهم في المنحدر على طريق « ڤاردون » ، فقلت لهم انني من «سيميه» – وهي مزرعة صغيرة في الوادي – وقد اقتادوني الى هنا ريثما يتحققون من صدق كلامي .

لوسي : ولكنهم في « سيميه » سوف ...

جان : ان لي هناك رفاقاً يعرفون ما ينبغي ان يقولوه . وسأنجو من هذه الورطة . (هنيهة) يجب ان انجو منها، فالرفاق ليسوا على علم بذلك .

هنري : (يُصفر) حقاً . (هنيهة) ما رأيك ؟ هل أخفقنا تماماً في أمرنا ؟

جان : سوف نعيد الكرة في مكان آخر .

هنري : انتَ ، ستعيد الكرة .

(اقدام في الممشى)

كانوري : ابتعدوا عنه ، فلا ينبغي ان يروكم تتحدثون اليه .

جان : ماهذا ؟

هنري : انه سوربيه يعودون به .

جان : آه ! انهم ...

هنري : اجل ! لقد بدأوا به .

(يدخل بعض الجنود مُسندين سوربيه الذي يتراخى على حقيبة . يخرج الجنود .)

المشهد الرابع

الاشخاص أنفسهم ، بالاضافة الى سوربيه

سوربيه : (من غير ان يرى جان) هل أبقوني وقتاً طويلاً ؟

هنري : نصف ساعة .

سوربيه : نصف ساعة ؟ لقد كنت على حق يا كانوري . فالوقت يمضي سريعاً . هل سمعتموني اصرخ ؟ (لا يجيبون) لقد سمعتموني طبعاً .

فرنسوا : ماذا فعلوا بك ؟

سوربيه : سترى ، سترى جيداً . فلا ينبغي ان تكون مُتعجّلاً الى هذا الحد .

فرنسوا : هل ان ذلك ... قاسٍ جداً ؟

سوربيه : لا ادري . ولكن هاكَ ما بوسعي ان اعلمك إياه. لقد سألوني اين كان جان ، ولو كنت عالماً بذلك لقلته لهم . (يضحك) ألا ترون انني اعرف نفسي الآن . (يسكتون) ما بالكم ؟ (يتتبع نظراتهم فيري جان ملتصقاً الى الحائط وقد باعد بين ذراعيه) من ارى هناك ؟ أهو جان ؟

هنري : (بحدّة) اسكت . انهم يحسبونه فتى من «سيميه».
سوربيه : فتى من « سيميه » ؟ (يتنهد) انني حقاً محظوظ .
هنري : (دهشاً) ماذا تقول ؟
سوربيه : اقول انني حقاً محظوظ . فقد اصبح لديّ الآن ما اخفيه عنهم .
هنري : (بفرح تقريباً) هذا صحيح . فقد اصبح لدينا الآن جميعاً ما نخفيه عنهم .
سوربيه : كنت اود لو أنهم قتلوني .
كانوري : سوربيه ! اقسم انك لن تتكلم . وليس بوسعك ان تتكلم .
سوربيه : اقول لك انني قد أسلّم والدتي . (هنيهة) إن من الظلم ان تكون دقيقة واحدة كافية لافساد حياة بكاملها .
كانوري : (برفق) إن ذلك يقتضي اكثر من دقيقة واحدة. اتظن ان لحظة ضعف يمكن ان تفسد تلك الساعة التي قررت فيها ان تترك كل شيء لتلتحق بنا ؟ وهذه السنوات الثلاث الحافلة بالشجاعة والصبر ؟ وذلك اليوم الذي حملت فيه ، على الرغم من اعيائك ، البندقيه وكيس الصغير ؟
سوربيه : لا تصدع رأسك. الآن اعرف. اعرف حقاً ما انا.
كانوري : تعرف حقاً لماذا تراك اليوم اكثر حقيقـــة ، اذ يضربونك ، مما كنت امس إذ رفضت ان تشرب لتعطي لوسي نصيبك ؟ اننا لم نُخلَق لنعيش دائماً على حدود نفوسنا . ففي الوديان ايضاً طُرُق .

سوربيه : حسناً . اذا اعترفت عما قليل ، فهل تستطيع ان تتابع النظر في عيني ؟

كانوري : انك لن تعترف .

سوربيه : واذا فعلت ؟ (كانوري يصمت) إنك لترى (هنيهة ، يضحك) هناك أُناس سيموتون على سريرهم هادئي الضمير : ابناء صالحون ، وازواج صالحون ومواطنون صالحون وآباء صالحون ... ها ! انهم جبناء مثلي ولن يعرفوا ذلك ابداً . انهم محظوظون (هنيهة) ولكن أسكتني ! ماذا تنتظر لكي تسكتني؟

هنري : سوربيه ، انت خير'نا .

سوربيه : صَه !

(صوت أقدام في المشى . يسكتون . يُفتحَ الباب)

الجندي : اليوناني ، اين هو ؟

كانوري : هأنذا !

الجندي : إتبعنا .

(كانوري يخرج مع الجندي)

المشهد الخامس

الاشخاص أنفسهم ما عدا كانوري

جان : انه من اجلي سيتعذب .

هنري : فليكن عـــذابه من اجلك . والا فسيكون من اجل لا شيء .

جان : كيف لي حـين يعود ان اتحمّل نظرته ؟ (للوسي) قولي لي ، هل تكرهينني ؟

لوسي : وهل أبدو اني اكرهك ؟

جان : اعطيني يدك . (تمد له يديها المقيدتين) انني خجل ان لا اكون مقيداً . انت هنا ! كنت اقول في نفسي : لقد انتهى على الأقل كل شيء بالنسبة لها . انتهى الخوف ، وانتهى الجوع والالم . وانتِ هنـــا ! سيحضرون لاقتيـــادك ثم يعيدونك نصف محمّلة .

لوسي : لن يكون في عيني الا الحب !

جان : ينبغي ان اسمع صرخاتك .

لوسي : سأحاول ألاّ أصرخ .

جان : ولكن الولد سيصرخ . انني على يقين من انه سيصرخ .

فرنسوا : صهْ ! صهْ ! اسكتوا جميعاً ! اتريدون ان تجعلوني مجنوناً ؟ لست بطلًا ، ولا اريد ان أُسامَ العذاب مكانك .

لوسي : فرنسوا !

فرنسوا : اغربي عني : لن ارقد معه . (لجان) انا اكرهك ، اذا شئت ان تعرف ذلك .

(هنيهة)

جان : انت على حق .

(يتوجه نحو الباب)

هنري : يا هذا ! ماذا تفعل ؟

جان : ليس من عادتي ان القي رفاقي في المهالك بدلاً مني .

هنري : ومن سينبيء الرفاق ؟

(جان يتوقف)

فرنسوا : دَعْهُ يفعل اذا اراد ان يسلّم نفسه . فليس من حقك ان تمنعَ عليه ذلك .

هنري : (لجان من غير ان يولي فرنسوا اهتمامه) . ما أطرف ان يحضروا الى هنا وهم يعتقدون ان القرية بيدنا . (جان يرجع على عقبيه خافض الرأس ويجلس) احرى بك ان تعطيني سيجارة . (جان يعطيه سيجارة) اعط الصغير ايضاً سيجارة .

فرنسوا : دعني وشأني .

(يتجه ثانية نحو اقصى القاعة)

هنري : اشعلها (جان يشعلها له . هنري يأخذ منها مجتين ثم يزفر زفرتين عصبيتين) لا تقلق . انا احب التدخين ، ولكنني لم اكن اعرف ان ذلك يوفر هذا القدر من اللذة . كم سيجارة بقيت معك

جان : واحدة .

هنري : (لسوربيه) خذ (سوربيه يتناول السيجارة من غير ان ينبس ببنت شفة ويأخذ منها بعض مجات ثم يعيدها له . هنري يلتفت نحو جان) انني مغتبط ان تكون هنا . لقد اعطيتني اولاً سيجارة ، ثم انك ستكون شاهدنا ، إن هذا قارس . ستقصد اهل سوربيه وستكتب الى زوجة كانوري .

لوسي : غداً ستنزل نحو المدينـــة وستحمل في عينيك آخر

صورة لوجهي الحي وستكون وحدك من يعرفه في العالم. ينبغي الاّ تنساه . انني انت ، فاذا حييتَ فسأحيا .

جان : أنساه .

(يتقدم منها . تُسمع خطوات)

هنري : ابق حيث انت واسكت : انهم آتون . ها هوذا دوري ، ينبغي ان اسرع ، وإلا فلن يكون لدي متسع من الوقت لانتهي. اسمع ! لو لم تأتِ لكنا تعذبنا كالبهائم من غير ان ندري لماذا . ولكنك هنا ، وكل ما يجري الآن سيكون ذا معنى . لن نقاوم من اجلك وحدك ، بل من اجل جميع الرفاق. لقد اخطأنا الهدف، ولكننا قد نستطيع انقاذ الظواهر. (هنيهة) كنت احسب انني عديم النفع ، ولكن ارى الآن ان ثمة شيئاً يحتاجني : فاذا واتاني بعض الحظ، فقد استطيع ان اقول في نفسي انني لا أموت من اجل لا شيء .

(يفتح الباب . يظهر كانوري يسنده جنديان)

سوربيه : اما هو فانه لم يصرخ .

ستار

اللوحة الثانية

قاعة مدرسة . مقاعد وقماطر . جدران مورّقة بالجصّ . على الجدار الداخلي خارطة افريقيا وصورة بتان . لوح اسود . الى اليسار نافذة . في الداخل باب . جهاز راديو على رفٍ بجانب النافذة .

المشهد الاول

كلوشه ، بلّوران ، لاندريو

كلوشه : هل ننتقل الى التالي ؟

لاندريو : دقيقة . ولنأخذ لنا وقتاً للطعام .

كلوشه : كُلْ اذا شئت . فقد استطيع ان استجوب شخصاً آخر في هذه الاثناء .

لاندريو : كلا ، فان ذلك سيلذّ لك اكثر مما ينبغي. اتراك الست جائعاً ؟

كلوشه : كلا .

لاندريو (لبلوران) كلوشه ليس جائعاً ! (لكلوشه) لا بد انك مريض ؟

كلوشه : انا لا اشعر بالجوع حين اشتغل .

(يتجه نحو الراديو ويدير الزر)

بلوران : لا تصدع رأسنا !

كلوشه : (يدمدم، يسمعونه يقول) ... لا يحبون الموسيقى .

بلوران : ماذا تقول ؟

كلوشه : اقول انه يدهشني دائماً ان ارى اناساً لا يحبون الموسيقى

بلوران : قد احب الموسيقى . ولكن لا احب هـذه وفي هذا المكان .

كلوشه : هكذا إذن ؟ اما انا فيكفي ان اسمع الغناء ... (بحسرة) كان بامكاننا ان نخفض صوته .

بلوران : كلا .

كلوشه : انكم بهائم . (هنيهة) هل نستدعيه ؟

لاندريو : ولكن دعنا ، يا الـهي ! علينا استجواب ثلاثة ، والساعة تدق العاشرة مساءً . ان اعصابي لتثور عندما اشتغـــل خاوي البطن .

كلوشه : اولاً لم يبق منهم الا اثنان . ما دمنا سنحتفـــظ بالصغير الى الغد . ومن جهة ثانية فأننا نستطيـع ، اذا ما نظمنا الامور قليلًا ، ان نصفيهم في ساعتين . (هنيهة) هذا المساء راديو « تولوز » يُذيـع الـ « توسكا »

لاندريو : انني لا اكترث بذلك إطلاقاً . انزل فانظر ماذا وجدوا لاطعامنا .

كلوشه : اعرف ذلك : افراخ

لاندريو : ايضاً ! لقد مللتها . هيا وائتني بعلبة من لحم البقر .

كلوشه : (لبلوران) وانت ؟

بلّوران : لحم بقر ايضاً .

لاندريو : ثم ابعث الينا من ينظف « هذا »

كلوشه : ماذا ؟

لاندريو : « هذا » . ها هنا نزف الدم من اليوناني . انـه لمنظر قبيح .

كلوشه : ينبغي ألاّ يُغسَل الدم ، فقد يؤثر منظره على الآخرين .

لاندريو : لن آكل ما دامت هذه القذارة عـلى الارض (هنيهـة) ماذا تنتظر ؟

كلوشه : ينبغي ألاّ يُغسَل هذا الدم .

لاندريو : لِمن الامر ؟

(كلوشه يهز كتفيه ويخرج)

المشهد الثاني

لاندريو ، بلوران

بلّوران : لا تبالغ في الاستهزاء به .

لاندريو : وهل سأتحرج من أجله ؟

بلّوران : ما اقوله لك عنه ... أن له ابن عم يعمل مـع « دارنان » وهو يرسل له تقارير . واعتقد انـه هو الذي وشى بروبان .

لاندريو : ياله من حشرة قذرة ! اذا كان يود ان يشى به فعليه ان يُسرع ، لاني اعتقد ان « دارنان » سَيُقْضى عليه قبلي .

بلـّوران : قد يحدث هذا .

(يتنهد ويتوجه بصورة آلية نحو الراديو)

لاندريو : كلا ! لا تفعل .

بلـّوران : انما يود الاستماع الى الاخبار !

لاندريو : (ضاحكا بخبث) الاخبار ، اظن انني اعرفها .

(بلوران يدير ازرار الراديو)

صوت المذيع : عند الدقة الرابعة تصبح الساعـــة الثانية بالضبط . (الدقات. يضبطون ساعاتهم) ايها المستمعون الاعزاء : ستسمعون بعد لحظات حفلة الأحد الغنائية .

لاندريو : (متنهداً) حقاًانَّاليوم احد. (مقدمة قطعة موسيقية) إلوِ عنقه .

بلـّوران : يوم الاحد كنت آخذ سيارتي فالتقط غانية من « مونغارتر » واذهب بها الى « توكه »

لاندريو : متى حدث ذلك ؟

بلـّوران : اوه ، قبل الحرب .

صوت المذيع : لقد وجدتُ مسامـــير في حديقة بيت الـكاهن [1] . اكرر وجدتُ ...

لاندريو : سدّوا افواهكم ، ايها المنتنون !

(يأخذ علبة « كونسرفه » ويرمي بها ناحية الجهاز)

---

١ هذه عبارة من المصطلحات التي تم الاتفاق عليها بين الاذاعة البريطانية وحركة المقاومة في فرنسا ايام الاحتلال الالماني في عهد حكومة فيشي ، وهي تعني غير معناها الحرفي وترمز الى اشياء متفق عليها سلفاً . [المترجمان]

بلوران : هل جننت ؟ ستحطم الراديو .

لاندريو : هذا لا يهمني . فانا لا اريد الاستماع الى هؤلاء المنتنين

(بلوران يدير الازرار)

صوت المذيع : الجيوش الالمانية تصمد بقوة في «شاربورغ» و «كان» . وفي قطاع «سان لو» لم تتمكن من وقف تقدم طفيف للعدو .

لاندريو : مفهوم . اقفله . (هنيهة) ما عساك فاعـــل ، واين انت ذاهب ؟

بلوران : ماذا تريد ان نفعل ؟ لقد انتهى الامر .

لاندريو : اجل . يا لهم من قذرين !

بلوران : من هم ؟

لاندريو : جميعهم . والالمان ايضاً . كلهم متساوون . (هنيهة) لو كان لنا ان نعيد العمل ....

بلوران : اظن انني شخصياً لا اتحسر على شيء . فلقـــد تسليت كثيراً ، على الاقل حتى هذه الاوقات الاخيرة .

(كلوشه يعود حاملا علب « الكونسرفة »)

المشهد الثالث

الاشخاص انفسهم ، كلوشه ، ثم جندي

لاندريو : قل لي يا كلوشه ، لقد نزل الانكليز في « نيس » .

كلوشه : في « نيس » ؟

لاندريو : لم يلاقوا مقاومة ما . انهم يزحفون على «بوجه تينيه»

(كلوشه يتراخى على مقعد)

كلوشه : ايتها العذراء القديسة ! (بلوران ولاندريو يأخذان في الضحك) هذا هذر ؟ لا ينبغي ان تلجأوا الى مثل هذا المزاح .

لاندريو : حسناً . ستذكر ذلك في تقريرك هـذا المساء . (يدخل الجندي) نظّف لي هذا . (لبلوران) ألا تودّ ان نأكل؟

(بلوران يقترب ويأخذ علبة لحم البقر وينظر اليها ثم يضعها)

بلوران : (يتثاءب) انني احسُّ نفسي غريباً قبل المباشرة بالعمل . (يتثاءب) لست شريراً الى هذا الحد ، وانما اغتاظ حين يعاندون . كيف هو الشخص الذي يُستجوَب ؟

كلوشه : انه طويل القامة ، متين البنية ، في الثلاثين من عمره . وسيكون هناك عراك .

لاندريو : ينبغي ان لا يمثل معنا دور « اليوناني » .

بلوران : باه ! اليوناني كان وحشاً .

لاندريو : هذا لا يمنع . انما يزعجنا الا يتكلموا . (يتثاءب) انك تحملني على التثاؤب . (هنيهة . لاندريو ينظر في قاع العلبة من غير ان يتكلم ، ثم يخاطب الجندي فجأة) حسناً ! هيا إئتنا به .

(يخرج الجندي . صمت . كلوشه يَصفرُ صفيراً خفيفاً . بلوران يقصد النافذة ويفتحها على مصراعيها .)

كلوشه : لا تفتح النافذة . فقد اخذ الطقس يبرد .

بلوران : اية نافذة ؟ آه نعم !.. (يضحك) لقد فتحتها من غير ان افكر بذلك .

(يعود ليقفلها)

لاندريو : دعها . إن الجو خانق هنا ، وانني بحاجة للهواء .

كلوشه : كما تريد .

(يدخل هنري وثلاثة جنود)

لاندريو : اجلسوه وانزعوا عنه قيوده واربطوا يــديه الى مسند الكرسي . (الجنود يربطونه) ما اسمك ؟

هنري : هنري .

لاندريو : هنري ماذا ؟

هنري : هنري .

(لاندريو يعطي اشارة . الجنود يضربون هنري)

لاندريو : ما اسمك إذن ؟

هنري : اسمي هنري فحسب .

(يضربونه)

لاندريو : كفى ! ستخبلونه . عمرك ؟

هنري : تسع وعشرون سنة .

لاندريو : مهنتك ؟

هنري : قبل الحرب كنت ادرس الطب .

بلوران : انت متعلم يا قذر ! (للجنود) اضربوه .

لاندريو : ينبغي ان لا نضيع الوقت .

بلوران : دروسه الطبية ! استمروا إذن في ضربه .

لاندريو : بلوران ! (لهنري) اين رئيسك ؟

هنري : لا ادري .

لاندريو : طبعاً . كلا ، لا تضربوه . هـل تدخن ؟ اعطوه هذه السيجـارة : انتظروا . (يضعها في فمه ويشعلها ثم يناوله اياها . احد الجنود يغرسها في فم هنري) دخّن . ماذا تأمل ؟ انك لن تدهشنا . هيا يا هنري ، لا تـكابر : لن يراك احد . وفر وقتك ووقتنا: فلم يبق لك ساعات كثيرة تحياها .

هنري : ولا انتم ايضاً .

لاندريو : اما نحن فحياتنا تعد بالأشهر : وسندفنك . دخّن وفكر . ما دمت متعلمـــاً فكن واقعياً . إنْ لم تتكلم انت فستفعل ذلك رفيقتك او الصغير .

هنري : هذا شأنهما .

لاندريو : اين رئيسك ؟

هنري : حاولوا ان تحملوني على البوح بذلك .

لاندريو : أتفضلُ ذلك ؟ انزع منـه السيجارة وتولَّ امره يا كلوشه .

كلوشه : ضعوا العصيّ في الحبال . (الجنود يضعون عصوين في الحبال التي تشد معصمي هنري) حسناً . سيديرونها حتى تتكلم .

هنري : لن اتكلم .

كلوشه : لن تتكلم حالاً ، ولكنك ستصرخ اولاً .

هنري : حاول ان تحملني على الصراخ .

كلوشه : لستَ متواضعاً . ينبغي ان تكون متواضعاً . اذا ما وقعت من علو شاهق فأنك تتحطم . أديروا بتأنٍ . واذن ؟ لا شيء ؟ كلا . استمروا. استمروا. انتظروا: لقد ابتدأ يتألم .

وبعد ؟ لا ؟ طبعاً : ان من كان في مثل علمك لا يعترف بالالم .
ولكن الواقع انه يرتسم على وجهك . (برفق) ان العرق يتصبب منك ،واني اتألم من اجلك . (يمسح له وجهه بمنديله) اديروا . اتراه سيصرخ ام لا ؟ انك تتحرك .بوسعك ان تمنع نفسك من الصراخ ولكنك لا تستطيع عـــدم تحريك رأسك . كم تشعر بالالم ! (يمر اصبعه على خدي هنري) ما اشد انطبـــاق فكيك : انك اذن وَجِل ؟ « لو كان بامكاني ان صمد لحظة ، لحظة واحدة .... »
ولكن بعد تلك اللحظة ستأتي لحظة اخرى ، ثم اخرى الى ان توقن ان العذاب بات لا يحتمل ،وانه خير لك ان تحتقر نفسك . لن نتوكك . (ياخذ رأسه بين يديه) ان عينيك لا ترياني بعد . ما عساهما تريان (برفق) انك جميل . أديروا (هنيهة. بلهجة تنم عن الانتصار) ستصرخ يا هنري ، ستصرخ ، اني ارى الصرخة تنفخ عنقك ، انها تصعد الى شفتيك . قليلاً من الجهد ايضاً . أديروا (هنري يصرخ) ها ! (هنيهة) لا بدّ ان يكون خجلك شديداً. أديروا، لاتتوقفوا (هنري يصرخ) اترى ؟ ان العبرة هي للصرخة الاولى . اما الآن ، برفق وتأنٍ ، فستتكلم .

هنري : لن تنالوا مني الا الصرخات .

كلوشه : كلا يا هنري كلا . ليس من حقك ان تتشامخ . « حاول ان تحملني عـلى الصراخ ! » ارأيت ؟ . إن الامر لم يطلُ بك . اين رئيسك ؟ كن متواضعاً يا هنري ، متواضعـــاً جداً . قُلْ لنا اين هو . ما بالك ، مـــاذا تنتظر ؟ اصرخ او

تكلم . اديروا ، اديروا يا الـهي ! حطموا معصميه . كفّوا : لقد أُغميَ عليه . (يستحضر زجاجة كحول وقدحاً .يسقي هنري برفق) اشرب ، ايها الشهيد المسكين . الم تتحسن حالك ؟ اذن سنبدأ . هيّا استحضروا الآلات .

لاندريو : كلا !

كلوشه : ماذا ؟

(لاندريو يمر يده على جبينه)

لاندريو : خذوه الى الغرفة المجاورة وتابعوا عملكم معه هناك .

كلوشه : المكان ضيق هناك .

لاندريو : انا الذي يصدر الاوامر يا كلوشه . ها هي المرة الثانية التي الفت انتباهك الى ذلك .

كلوشه : ولكن ...

لاندريو : (صارخاً) اتريد ان ادس قبضتي في فمك ؟

كلوشه : حسناً ، حسناً ، خذوه .

(الجنود يحلون رباط هنري ويقتادونه . كلوشه يتبعهم)

المشهد الرابع

بلوران ، لاندريو

بلوران : أتأتي معي ؟

لاندريو : كلا . ان نفسي لتشمئز من كلوشه .

بلوران : انه يتكلم اكثر مما ينبغي (هنيهة) دروسه الطبية ! يا للقذر ! لقد تركت المدرسة في الثالثة عشرة من عمري ، وكان عليّ ان اكسب معاشي . ولم يتح لي الحظ اهلاً اثرياء لينفقوا على تعليمي .

لاندريو : آمل ان يتكلم .

بلّوران : يا الـهي ، اجل سيتكلم !

لاندريو : سيضايقنا جداً الا يتكلم .

(هنري يصرخ . لاندريو يتوجه نحو الباب ويقفله . صرخات جديـــدة تسمع بوضوح من خلال الباب. لاندريو يذهب الى جهاز الراديو ويديرالزر)

بلوران : (مشدوهاً) وانت ايضاً يا لاندريو !

لاندريو : انها هذه الصرخات . ينبغي ان تكون الاعصاب متينة .

بلوران : فليصرخ ! انه قذر ، مثقف قذر . (موسيقى حادة) خفّف الصوت . انك تمنعني من السماع .

لاندريو : هيا إلحق بهم . (بلوران يتردد ثم يخرج) يجب ان يتكلم . انه جبان ، لا بدّ انه جبان .

(موسيقى وصرخات . الصرخات تنقطع . هنيهة . بلوران يخرج ثانيـــة شاحب اللون)

بلوران : أوقف الموسيقى .

(لاندريو يدير الزر)

لاندريو : وإذن ؟

بلوران : سيقتلونه من غير ان يتكلم .

لاندريو : (يقصد الباب) قفوا ، واعيدوه الى هنا .

المشهد الخامس

الاشخاص أنفسهم . كلوشه . الجنود . هنري

بلوران : (يتجه الى هنري) إن الامر لم ينتهِ . سنؤجل ذلك ، لا تخف خفض عينيك . قلت لك أن اخفض عينيك . (يضربه) قذر !

كلوشه : (مقترباً) مدُد يدك ، اريد ان اعيد لك القيود. (يضع له القيود في غاية من الرفق) إن هذا يؤلمك ، اليس كذلك ؟ انه يؤلم كثيراً . يا لك من فتىً مسكين . (يُداعب شعره) لا تكن متكبراً الى هذا الحدّ : لقد صرخت ، لقد صرخت على كل حال . غداً ستتكلم .

(الجنود يقتادون هنري باشارة من لاندريو)

المشهد السادس

الاشخاص انفسهم ما عدا هنري والجنود

بلوران : يا للقذر !

لاندريو : إن ذلك مزعج .

كلوشه : ماذا ؟

لاندريو : إن من المزعج الا يتكلم المرء .

كلوشه : مع انه كان قد صرخ ، كان قد صرخ ...

(يهز كتفيه

بلوران : احضروا الفتاة .

لاندريو : الفتاة ... واذا لم تتكلم ...

بلوران : ما عساك ...

لاندريو : لا شيء (بعنف فجائي) ينبغي ان يتكلم واحد منهم .

كلوشه : يجب احضار الأشقر ثانية . إنه مناسب .

لاندريو : الأشقر ؟

كلوشه : سوربيه . انه جبان .

لاندريو : جبان ؟ اذهب وائت به .

(يخرج كلوشه)

المشهد السابع

بلوران ، لاندريو

بلوران : انهم جميعاً جبناء . ولكن بعضهم ُمكابرون .
لاندريو : بلوران ! ما الذي تفعله اذا ما اقتُلِعت اظافرك؟
بلوران : ان الانكليز لا يقتلعون الاظافر .
لاندريو : ورجال المقاومة ؟
بلوران : لن ُتقتلع اظافرنا .
لاندريو : ولماذا ؟
بلوران : لن ُتصيبنا ، نحن ، مثل هذه الامور .
(يدخل كلوشه ، متقدماً سوربيه)
كلوشه : دعني استجوبه .

المشهد الثامن

الاشخاص انفسهم ، كلوشه ، ثم سوربيه يصحبه الجنود

كلوشه : انزعوا قيوده واوثقوا ذراعيه بالكرسي . حسناً . (يتجه نحو سوربيه) اجل ، ها انت ذا ، ها انت ذا ثانيةً على هـذا الكرسي .

ونحن هنا . اتعلم لماذا انزلناك ثانية ؟

سوربيه : لا .

كلوشه : لأنك جبان ، ولأنك ستُدلي لنا بمعـــلوماتك . الستَ جباناً ؟

سوربيه : بلى .

كلوشه : انك ترى ، انك ترى جيداً . لقد قرأت ذلك في عينيك . أبرزهما ، هاتين العينين المتسعتين .

سوربيه : ستكون عيناك مثلهما عندما تُشنق .

كلوشه : لا تتغطرس ، فذلك لا يلائمك .

سوربيه : ستكون لك العينان نفسهما ، فنحن اخوان . انني اجتذبك ، اليس كذلك ؟ انت لا تعذبني بل تعذب نفسك

كلوشه : (فجأة) هل انت يهودي ؟

سوربيه : (دهشاً) انا ؟ كلا .

كلوشه : اقسم انك يهودي . (يشير الى الجنود الذين يضربون سوربيه) الست يهودياً ؟

سوربيه : بلى ، اني يهودي .

كلوشه : حسناً . اسمع إذن . سنبتديء بالاظافر . ان ذلك سيتيح لك مجال التفكير . لسنا مستعجلين ، فلدينا الليل ! اتراك لن تتكلم ؟

سوربيه : يا لك من قذر !

كلوشه : ماذا تقول ؟

سوربيه : اقول : يالك من قذر . اننا قذران ، انت وانا .

كلوشه : (الجنود) خذوا الملقطَ وابدأوا .

سوربيه : دعوني ! دعوني ! سأتكلم . سأقول لكم كل ما تشاءون .

كلوشه : (للجنود) على كل حال ، شدوا على ظفره قليلاً ليرى ان الامر جدّ . (سوربيه يئن) حسناً ، اين رئيسك ؟

سوربيه : حلّوا رباطي، فقد بتُّ لا استطيع البقاء على هذا الكرسي . بتّ لا استطيع ! بت لا استطيع ! (اشارة من لاندريو . الجنود يحلون رباطه . ينهض مترنحاً ويتجه نحو الطاولة) اعطوني سيجارة .

لاندريو : فيما بعد .

سوربيه : ما الذي تود معرفته ؟ اين الرئيس ؟ اني اعرف ذلك ، اما الآخرون فلا يعرفونه ، اما انا ، فاعرف . لقد كان يأتمنني على اسراره . انه ... (مشيراً فجأة الى نقطة ور ءهم)... هناك ! (الجميع يلتفتون . يقفز الى النافذة ثم يثب على سطح العمود .) لقد ربحت ! لا تقتربوا والا قفزت . لقد ربحت ! لقد ربحت

كلوشه : لا تكن سخيفاً . اذا تكلمت اطلقنا سراحك .

سوربيه : مسامير . (صارخاً) هيه، انتم فوق ! هنري، كانوري لم اتكلم ! (الجنود يرتمون عليه . يقفز في الفراغ .) وداعاً !

المشهد التاسع

كلوشه ، لاندريو ، بلوران ، الجنود .

بلوران : يا له من قذر ! يا له من جبان دنس !
(ينحنون على النافذة) .
لاندريو : (للجنود) اهبطوا ، فان كان حياً ، فعودوا به ، وسنواصل ارهاقنا له بمنتهى العنف حتى يموت بين ايدينا .
(يخرج الجنود . هنيهة) .
كلوشه : كنت قد قلت لكم ان تقفلوا النافذة .
(لاندريو يتجه اليه ويضربه بقبضة يده على وجهه)
لاندريو : ستذكر ذلك في تقريرك .
(هنيهة . كلوشه يأخذ منديله ويمسح فمه . الجنود يعودون) .
جندي : لقد مات .
لاندريو : يا له من قذر ! (للجنود) اذهبوا فأتوني بالفتاة .
(الجنود يخرجون) سيتكلمون ، يا آلهي ، سيتكلمون !

ستار

اللوحة الثالثة

العلية . فرنسوا وكانوري وهنري جالسون ارضاً متقاربين . انهم يؤلفون حلقة ضيقة مغلقة ويتهامسون . جان يدور حولهم وقد بدا تعساً . تبدر منه بين الفينة والفينة حركة كما لو كان يريد الاشتراك بالحديث ثم يتمالك نفسه ويتابع مشيته .

المشهد الاول

فرنسوا ، هنري ، كانوري ، جان

كانوري : بينما كانوا يربطون ذراعيّ كنتُ انظر اليهم . ثم جاء رجل وضربني ، فنظرت اليه وفكّرت : لقد رأيت ذلك الوجه في مكان ما . وبعد ذلك اخذوا يضربونني ، وكنت انا احاول ان اتذكر .

هنري : وأيهم هو ؟

كانوري : انه ذلك الرجل الطويل ، الميـــال الى كشف سريرته . لقد رأيته في « غرنوبل » . هـــل تعرف « شازيار » « الحلواني » في شارع « لونغ » ذلك الذي يبيـع « قرون » القِشدة في مؤخرة حانوته ؟ لقد كان الرجـــل يخرج من هناك صبيحة كل احد . وكان يحمل صُرة من الفطائر مربوطة بخيـــط ورديّ . ولقد ميّزته بسبب سحنته ، وكنت اعتقد انـــه من رجال الشرطة .

هنري : كان بوسعك ان تقول لي ذلك قبل الآن .

كانوري : انه كان من رجال الشرطة ؟

هنري : ان « شازيار » كان يبيع « قرون » القشدة . وهل اغدق عليك ، انت ايضاً ، شعوذته ؟

كانوري : اجل ، كان ينحني فوقي ويقذف كلامه في وجهي

جان : (فجأة) ماذا كان يقول ؟

(يلتفتون نحوه وينظرون اليه بدهشة)

هنري : لا شيء غير خليط من الكلام .

جان : ما كنت لأستطيع ان اتحمله .

هنري : ولماذا ؟ ان ذلك يُسلي .

جان : اجل ! اجل ! حقاً انني لا ادرك ذلك جيداً .

(صمت . هنري يلتفت نحو كانوري)

هنري : ماذا تظن انهم يعملون في الحياة المدنية ؟

كانوري : قد يكون البدين ، الذي كان يدوّن الملاحظات ، طبيب اسنان .

هنري : اصبت . قل لي ، ان من حسن الحظ انه يحضر معه آلة النخر .

(يضحكون)

جان : (بعنف) لا تضحكوا . (ينقطعون عن الضحك وينظرون الى جان) اعرف ان بوسعكم ان تضحكوا . ان من حقكم ان تضحكوا . ومن جهة اخرى لم يبق لدي اوامر اصدرها اليكم (هنيهة) لو قلتم لي انكم قد تهددونني يوماً ... (هنيهة) ولكن كيف يمكنكم ان تكونوا مرحين ؟

هنري : اننا نتدبر الأمر .

جان : طبعاً . ولكنكم تتألمون لحسابكم . وهذا ما يوفر لكم ضميراً مرتاحاً . لقد تزوجت ولم اخبركم بذلك . وماتت زوجتي في اثناء الوضع . كنت اذرع ممشى العيادة جيئة وذهاباً وكنت اعلم انها مشرفة على الموت ، ولكن الامر سيّان ، كل شيء سيان ! لقد كنت اود ان اساعدها ولكني كنت عاجزاً عن ذلك . كنت امشي واصيخ السمع لأسمع صرخاتها . الا انها لم تكن تصرخ . لقد لعبتْ دوراً جميلاً ، وانتم ايضاً .

هنري : ليس الذنب ذنبنا .

جان : ولا ذنبي . اني اتمنى لو استطيع مساعدتكم .

كانوري : لاتستطيع .

جان : اعرف ذلك . (هنيهة) ها قد انقضت ساعتان منذ ان اخذوها . انهم لم يحتفظوا بكم ذلك الوقت الطويل .

هنري : انما هي امرأة ، وهم يلهون مع النساء .

جان : (بحدة) سأعود . بعد ثمانيـــة ايام او شهر سأعود . وسأخصيهم بواسطة رجالي .

هنري : انك محظوظٌ اذ تستطيع الاستمرار في كرههم .

جان : هل هذا حظ ؟ ثم اني اكرههم لأسرّيَ عن نفسي .

(يمشي فترة ثم تراوده فكرة فيسحب موقداً قديماً تحت كوة السقف)

كانوري : انك مزعج . ماذا تفعل ؟

جان : اريد ان اراه ثانيةً قبل ان يهبط الليل .

هنري : من ؟

جان : سوربيه .

هنري (بفتور) آه !

(جان يصعد على الموقد وينظر من الكوة)

جان : انه لا يزال مكانه، وسيتركونه يعفن هناك . اتريد ان تصعد حتى اساعدك على ذلك ؟

كانوري : ولماذا ؟

جان : نعم ! لماذا ؟ الموتى ، انكم تدَعونهم لي .

فرنسوا : أنا اودّ ان ارى .

هنري : لا انصحك ان تفعل ذلك .

فرنسوا : (لجان) ساعدني (جان يساعد فرنسوا على الصعود. ينظر بدوره من الكوة) إن ... ان جمجمته محطمة . (ينزل ويذهب الى زاوية في الغرفة حيث يجلس القرفصاء وهو يرتجف) .

هنري :(لجان)انما هذا خبيث .

جان : يا للعجب ! انكم جد قساة . كنت اعتقد انكم تطيقون رؤية جثة .

هنري : قد أطيق ذلك ، اما الصغير فلا.(لفرنسوا) الحطب التأبينية انما هي من اختصاص جان . فلا ينبغي ان تأخذ هذا الميت على عاتقك . لقد انتهى ، فيقتضي ان يسود الصمت حوله . اما انت فلا يزال امامك بعض الطريق ،فعليك انتهتم بأمر نفسك.

فرنسوا : سيكون لي هذا الرأس المحطم وهاتان العينان ...

هنري : بات الأمر لا يعنيك . فلن تكون هناك لترى نفسك

(هنيهة . جـان يذرع الغرفة جيئة وذهاباً ثم يعود وينتصب امام كانوري وهنري)

جان : هل ينبغي ان تُقلع اظافري حتى اصبح من جـديد رفيقكم ؟

كانوري : انت دائماً رفيقنا .

جان : انت تعلم ان الأمر على خلاف ما تقول . (هنيهة) من يقول لكم انني كنت لا اقوى على تحمل التعـذيب ؟ (لهنري) ولعلني لم اكن لأصرخ انا ؟

هنري : وبعد ذلك ؟

جان : سامحوني . فليس لي الا حق الصمت .

هنري : جان !... تعال اجلس الى جانبنا . (جان يتردد ويجلس) ستكون مثلنا لو كنت في وضعنا . ولكن همومنا تختلف عن همومك (جان ينهض فجأة) ماذا دهاك ؟

جان : ما داموا لم يعيدوها ، فلن استطيع البقاء في مكاني .

هنري : ارأيت كيف انك كثير الحركة والاضطراب : انك مفرطٌ في الحيوية .

جان : لقد ظللت ستة اشهر من غير ان اقول لها انني كنت احبها . وكنت اطفيء النور ، اثناء الليل ، اذا ما ضممتها بين ذراعي . اما الأن فهي عارية بينهم ، تُداعبُ جسدَها ايديهم .

هنري : وما تأثير ذلك ؟ المهم ان نربح .

جان : ان نربح ماذا ؟

هنري : ان نربح . فهنالك فرقتان تحاول احداهما حمـل

الأخرى على الكلام . (يضحك) ان هذا لسخيف . ولكن هذا هو كل ما يبقى لنا . فأذا ما تكلمنا خسرنا كل شيء . لقد سجلوا بعض الانتصارات لأنني صرخت ، ولكن وضعنا بالاجمال ليس سيئاً .

جان : لا يهمني سواء اربحنا ام خسرنا ! فهذا للضحك . انها تخجل اشد الخجل وتُسام سوء العذاب .

هنري : وماذا بعد ذلك ؟ لقد شعرت انا بخجل شديد عندما حملوني على الصراخ . ولكن ذلك لا يدوم . فاذا ما لاذت بالصمت فأن ايديهم لن تترك عليها اي اثر . انهم مساكين ، كما تعلم .

جان : انهم رجال ، وهي بين اذرعهم .

هنري : حسناً . الا فاعلم انني احبها انا ايضاً .

جان : انت ؟

هنري : لمَ لا ؟ انه لم يكن يسرُني ان اراكما ، وقت المساء تصعدان السلم معاً . وكثيراً ما تساءلت عما اذا كنت تطفيء النور .

جان : اتحبها انت ؟ وهل بوسعك ان تستمر في تلك الجلسة الهادئة ؟

هنري : ان المَها ليجمعنا . اما اللذة التي كنت تمنحها اياها فقد كانت تزيد في تفريقنا. واني اشعر اليوم اني اقرب اليها منك.

جان : ليس هذا صحيحاً ! ليس هذا صحيحاً ! انها تفكر بي حين يعذبونها . انها لا تفكر الا بي . وهي انما تتحمل الآلام

والهوان حتى لا تسلمني .

هنري : كلا ، انما تفعل ذلك في سبيل النصر .

جان : انت تكذب ! (هنيهة) لقد قالت : حين اعود فلن يكون في عيني الا الحب .

(صوت خطوات في المشى)

هنري : انها تعود . بوسعك ان تقرأ في عينيها .

(يفتح الباب : هنري ينهض)

المشهد الثاني

الاشخاص انفسهم ، لومي

(جان وهنري ينظران اليها بصمت . تمر قدماً دون ان تنظر اليهما وتجلس على مقدمة المسرح . هنيهة .)

لوسي : فرنسوا ! (فرنسوا يأتي اليها ويجلس عند ركبتيها) لا تمسَسْني . اعطني معطف سوربيه . (فرنسوا يلتقط المعطف) ضعه على كتفيّ (تتدثر به بشدة)

فرنسوا : هل انتِ مقرورة ؟

لومي : كلا . (هنيهة) ماذا يفعلون ؟ انهم ينظرون اليّ .

لماذا لا يتحادثون ؟

جان : (يقترب منها من الوراء) لوسي !

كانوري : دعها وشأنها !

جان : لوسي !

لوسي : (برفق) ماذا تريد ؟

جان : كنت قد وعدتني بانه لن يكون في عينيك الا الحب .

لوسي : الحب ؟

(تهز كتفيها بحزن)

كانوري : (الذي انتصب واقفاً) كفى ، ستحدثها عما قريب .

جان : (بعنف) اليك عني . انها لي . لقد تخليتم عني ، وليس لديّ ما اقوله . ولكنكم لن تأخذوها مني . (الى لوسي) كلميني انت . لست مثلهم ؟ لا يمكن ان تكوني مثلهم . لماذا لا تجيبين؟ اتحقدين علي ؟

لوسي : لا احقد عليك .

جان : لوسي ، ايتها الحلوة .

لوسي : لن اكون ابداً حلوة ، يا جان .

جان : بت لا تحبينني .

لوسي : لا ادري . (يخطو خطوة نحوها) ارجو منك ان لا تمسّني . (بجهد) اعتقد انه ينبغي ان احبك ايضاً . ولكن بتُّ لا اشعر شيئاً على الاطلاق .

كانوري (لجان) تعالَ اذن

(يجذبه ويكرهه على الجلوس بقربه)

لوسي : (وكأنها تخاطب نفسها) كل هذا ليس على جانب كبير من الأهمية . (لفرنسوا) ماذا يعملون ؟

فرنسوا : لقد جلسوا وادار كل منهم ظهره للآخر .

لوسي : حسناً . (هنيهة) قل لهم انني لم اتكلم .

كانوري : اننا نعلم ذلك يا لوسي .

لوسي : حسناً .

(صمت طويل : ثم صوت اقدام في الممشى . فرنسوا ينهض صارخاً)

لوسي : مابك ؟ آه ! اجل ، هذا هو دورك . أحسن الدفاع عن نفسك : يجب ان يشعروا بالخجل .

(تقترب الاقدام ثم تبتعد)

فرنسوا : (يرتمي على ركبتي لوسي) بتّ لا استطيع تحمّل ذلك ! بت لا استطيع تحمل ذلك !

لوسي : انظر اليّ (ترفع رأسه) ما اشد خوفك ! انك لن تتكلم ؟ أجِبْ !

فرنسوا : بتّ لا ادري . كنت محتفظاً بقليل من رباطة الجأش، ولكن ما كان ينبغي ان اراك ثانية. انتِ هنا وقد انحل شعرك وتمزق قميصك وانا اعلم انهم اخذوك بين اذرعهم .

لوسي : (بعنف) انهم لم يمسوني . لم يمسني احد . كنتُ قطعة من حجر، ولم اشعر بأيديهم . كنت احدّق في وجوههم وافكر بأنه لا يحدث شيء . (بحرارة) انه لم يحدث شيء . وفي النهاية كنتُ أخيفهم. (هنيهة) انك اذا ما تكلمت ،يا فرنسوا ،يكونون

في الحقيقة قد انتهكوا عرضي . ولسوف يقولون : « لقد فزنا بهم بالنتيجة » . سوف يبتسمون لذكرياتهم ويقولون : « لقد مزحنا مع الفتاة » ينبغي ان نُخجلهم : لولا املي بلقائهم مرة ثانية لشنقت نفسي حالاً بواسطة قضبان هذه الكوّة . أتلوذ بالصمت ؟

(فرنسوا يهز كتفيه من غير ان يحير جواباً . صمت .)

هنري : (بصوت خافت) ما قولك يا جان ، من كان على حق ؟ انها تريد ان تنتصر فحسب .

جان : صهْ ! لماذا تريد ان تأخذها مني ؟ انك مغمور بالنعم ، وستموت بين الفرح والفخر . اما انا فليس لي سواها وسأعيش .

هنري : لا اريد شيئاً ولست الذي يودّ اخذها منك .

جان : تابع ! تابع ! استمر . فلك جميع الحقوق ، حتى الحق في تعذيبي : لقد دفعت الثمن سلفاً (ينهض) كم انت واثق من نفسك ! هـل يكفي ان يتعذب الأنسان في جسده حتى يكون ضميره هادئاً ؟ (هـنري لا يجيب) الاتدرك اذن انني أتعسكم جميعاً ؟

فرنسوا : (وقد انتصب فجاة) ها ! ها ! ها !

جان : (صارخاً) اشدكم تعاسة ! اشدكم تعاسة !

فرنسوا : (يثب على جان) انظروا اليه اذن ! انظروا اليه ! انه اشدنا تعاسة . لقد نام وأكل . ان يديه غير مقيدتين ، وسيرى النور وسيعيش . ومع ذلك فهو اشدنا تعاسة ! ماذا تريد ؟ ان نرثي لك ، ايها القذر !

جان : (الذي شبك ذراعيه) حسناً .

فرنسوا : ان جميع الاصوات تجعلني انتفض . وقد بتُ

لا استطيع ان ابلعَ ريقي ، انني انازع . ولكن مما لا ريب فيه انه هو اشدنا تعاسة : اما انا فسأموت في الفرح (منفجراً) سأعيد لك السعادة !

لوسي : (التي تنهض فجأة) فرنسوا !

فرنسوا : سأشي بك ! سأشي بك ! سأجعلك تشاطرنا افراحنا !

جان : (بصوت خافت وسريع) افعل ذلك : فأنك لا تعلم كم اتمناه .

لوسي : (تأخذ فرنسوا من رقبته وتدير رأسه نحوها) انظر اليّ في وجهي . اتجرؤ على الكلام ؟

فرنسوا : أجرؤ ؟ تلك هي كلماتكم الرنانة . سأشي بك . هذا كل ما في الامر . وسيكون ذلك على غاية من السهولة : سيقتربون مني ، فينفتح فمي من تلقاء نفسه ، ويخرج الاسم وحده ، فاكون على وفاق مع فمي . فأين الجرأة في كل ذلك ؟ انني حين اراكم صفراً متشنجين وقد تملككم الهوس فان احتقاركم لايخيفني قط . (هنيهة) سأخلصك يا لوسي . وسوف يدعون لنا الحياة .

لوسي : لا اريد مثل هذه الحياة .

فرنسوا : اما انا فأني اريدها . اريد اية حياة كانت . ان العار ليزول حين تكون الحياة طويلة .

كانوري : انهم لن يصفحوا عنك يا فرنسوا حتى ولو تكلمت .

فرنسوا : (مشيراً الى جان) على الاقل سأراه يتألم .

هنري : (ينهض ويذهب نحو لوسي) اتظنين انه سيتكلم ؟

لوسي : (تلتفت نحو فرنسوا وتحدق فيه) نعم

هنري : هل انتِ متأكدة من ذلك ؟

(يتبـــادلان النظر)

لوسي : (بعد تردد طويل) نعم

(هنري يمشي نحو فرنسوا . كانوري ينهض ويأتي الى جانب هنري . كلاهما ينظر الى فرنسوا)

هنري : لست قاضيك يا فرنسوا . انت ولد ، وقد كانت هذه القضية كلها اقسى من أن تحتملها . ولو كنت في عمرك لكنتُ تكلمت ، على ما اظن .

كانوري : كل ذلك كان نتيجة خطأنا . فما كان ينبغي ان نصطحبك : ان هناك اخطاراً يجب ان لا يستهدف لها الا الرجال . اننا نطلب منك الصفح .

فرنسوا : (متراجعاً) ما معنى ذلك ؟ وماذا تريدون ان تفعلوا بي ؟

هنري : ينبغي الا تتكلم ، يا فرنسوا . انت تعـــلم انهم سيقتلونك على كل حال ، وستموت في العار .

فرنسوا : (مذعوراً) حسناً ، لن اتكلم . اقول لكم انني لن اتكلم . دعوني وشأني .

هنري : بتنا لا نثق بك . انهم يعلمون انك نقطة الضعف فينا . وسيشددون عليك الخناق حتى تدلي بما لديك ، وخطتنا نحن هي ان نمنعك من الكلام .

جان : وهل تتصورون اني سأدعكم تنفّذون هذه الخطة ؟

لاتخف ايها الصغير . ان يديّ غير مقيدتين وانا معك .

لوسي : (قاطعة عليه المرور) لماذا تتدخل في ما لا يعنيك ؟

جان : انه أخوك .

لوسي : وبعدئذ ؟ انه على كل حال سيموت غداً .

جان : احقاً انتِ التي ارى ؟ انك لتخيفينني .

لوسي : ينبغي ان يلوذ بالصمت مهما كانت الوسائل .

فرنسوا : انكم لن ... (لا يجيبون) ما دمت اقسم لكم انني لن اتكلم . (لايجيبون) النجدة يا لوسي ! امنعيهم من ان يؤذوني ، لن اتكلم : انني اقسم لكِ بأنني لن اتكلم .

جان : (يقف الى جانب فرنسوا) لن تمسوه بسوء .

هنري : جان ! متى يأتي الرفاق الى هذه القرية ؟

جان : الثلاثاء .

هنري : كم سيكون عددهم ؟

جان : ستون .

هنري : ستون وضعوا ثقتهم بك ، وسيموتون يوم الثلاثاء كالجرذان . فاما هم وإما هو . عليك ان تختار .

جان : ليس من حقك ان تطلب اليّ الاختيار .

هنري : الست رئيسَهم ؟ هيّا هيّا !

(جان يتردد لحظة ثم يبتعد رويداً . هنري يقترب من فرنسوا)

فرنسوا : (ينظر اليه ثم يأخذ في الصراخ) لوسي !النجدة !لا اريد ان اموت هنا ، هذه الليلة. هنري ، ان عمري خمس عشرة سنة ، فدعني اعيش . لا تقتلني في الظـــلام . (هنري يضغط على عنقه .)

لومي ! (لوسي تشيح برأسها) انني اكرهكم جميعاً .

لوسي : يا صغيري ، يا صغيري المسكين ، يا حبيبي الوحيد، سامحنا . (تشيح بوجهها . هنيهة) اسرع .

هنري : لا استطيـع ، فانهم قد حطّموا معصميّ تقريباً .

(هنيهة)

لوسي : هل قُضي الامر ؟

هنري : لقد مات .

(لوسي تلتفت وتأخذجثمان فرنسوا بين ذراعيها وتسند رأسه على ركبتيها. صمت طويل جداً ثم يأخذ جان في الكلام بصوت خافت . الحديث التالييستمر كله بصوت خافت)

جان : ما الذي انتهيتم اليه ؟ لماذا لم تموتوا مـــع الآخرين ؟ انكم لتثيرون ذعري .

هنري : اتظن انني احب نفسي ؟

جان : حسناً ، ستتخلص من نفسك بعـد اربع وعشرين ساعة . اما انا فسأتمثّل كل يوم هذا الفتى الذي كان يطلب الرحمة وسأتمثل وجهـــك حين كانت يداك تضغطان على عنقـــه . (يتجه الى فرنسوا وينظر اليه) خمس عشرة سنة ! لقد مات في الذعر والجزع . (يعود الى هنري) كان يحبك وكان ينام مُسنداً رأسه الى كتفك مردداً « ما اطيب النوم اذ تكون هنا » (هنيهة) يا لك من قذر !

هنري : (لكانوري ولوسي)ما بالكما لا تقولان شيئاً !لا تدعاني وحدي ! لوسي ! كانوري ! لقد قتلتماه بيدي! (لا جواب .يلتفت

نحو جان) وانت ، انت الذي تحكم عليّ ، ماذا فعلت للدفاع عنه؟

جان : (بعنف) ماذا كان بوسعي ان افعل ؟ وماذا كنتم تدعونني افعل ؟

هنري : كانت يداك طليقتين ، فكان ينبغي ان تضرب . (باندفاع عاطفي) لو كنت ضربت .... لو كنت ضربت حتى سقطتُ ...

جان : يداي طليقتان ؟ لقد قيدتموني ، فما كنت اقول كلمة او آتي حركة حتى تصيحوا بي : « والرفاق ؟ » . لقد ابعدتموني عنكم وقضيتم ، ببرودة ، في حياتي كما في موتي ، فلا يقل أحدكم الآن انني شريككم في الجرم ، فهذا القول في غاية السهولة . لست الا شاهداً ، شاهداً على انكم قتلة (هنيهة) لقد قتلته بدافع الكبرياء .

هنري : انك تكذب .

جان : بدافع الكبرياء ! لقد حملوك على الصراخ ، اليس كذلك ؟ وانك لتشعر بالخجل ، وتود ان تبهرهم لتكفر عن نفسك . انك تريد ميتة رائعة ، اليس كذلك ؟ تريد ان تنتصر كما قلت لنا . لقد قلت لنا انك كنت تريد ان تنتصر .

هنري : ليس هذا صحيحاً ! ليس هذا صحيحاً ! لوسي ، قولي له ان هذا غير صحيح ! (لوسي لا تجيب ، يخطو خطوة نحوها.) اجيبي ، اتعتقدين اني قتلته بدافع الكبرياء ؟

لوسي : لا ادري . (هنيهة ، ثم بشفقة) كان ينبغي ان لا يتكلم

هنري : هل تكرهينني ؟ انه اخوك ولك وحدك الحق

في اداتي .

لومي : انني لا اكرهك (يقترب من الجثة التي تمسكها بذراعيها . بحدة) لا تمسها .

(هنري يشيح بوجهه ويعود نحو كانوري).

هنري : كانوري ! انت لم تصرخ ، ومع ذلك، فقد كنت تريد موته . فهل قتلناه بدافع الكبرياء ؟

كانوري : ليس عندي كبرياء .

هنري : اما انا ، فعندي كبرياء ! صحيح ان عندي كبرياء! فهل قتلته بهذا الدافع ؟

كانوري : عليك ان تعرف ذلك .

هنري : انا ... كلا ، بتّ لا ادري . لقد قُضي الأمر في غاية السرعة ، وهو الآن قد مات . (فجأة) لا تتخلوا عني ! ليس من حقكم ان تتخلوا عني . حين كانت يداي حول عنقه ، كان يبدو لي انها ايدينا جميعاً ، واننا كنا كثيرين نشد عليه الخناق، ولولا ذلك لما استطعت ...

كانوري : كان ينبغي ان يموت ، ولو كان اكثر قرباً مني لكنت انا الذي خنقته . اما ما دار في رأسك ...

هنري : أكمل ... ؟

كانوري : ان هذا لا يُعتدُّ به . لا يُعتدُّ بشيء داخل هذه الجدران الأربعة . كان ينبغي ان يموت ، وهذا كل شيء .

هنري : حسناً . (يقترب من الجثة . للوسي) لا تخافي ، فلن

أمسه . ينحني عليه وينظر اليه طويلا ثم ينتصب واقفاً .)

جان : حين اطلقنا قنبلتنا الأولى ، كم كان عــدد الرهائن التي أُطلق عليها الرصاص ؟ (جان لا يجيب) اثنا عشر . كان بينهم ولد يدعى « دوتاش ». انك تذكر : لقـد شاهدنا الأعلانات في شارع « مينيم » . كان « شاربونال » يريد ان يسلم نفسه، ولكنك منعته من ذلك .

جان : وبعدئذ ؟

هنري : هل تساءلت لماذا منعته من ذلك ؟ .

جان : ان تلك الحالة لا تشبه حالتنا هذه .

هنري : ربما . هنيئاً لك ان تكون الدوافع آنذاك اكثر وضوحاً، فقد اتاح لك ذلك ان تحتفظ بضمير هادىء . ولكن « دوتاش » قد مات بالرغم من ذلك ، لن يكون ضميري هادئاً بعد الآن ، وسأظل على هذا الحال حتى يلصقوني بجدار معصوب العينين . ولكن لماذا اود ان يكون لي ضمير هادىء ؟ كان على الصبي ان يموت .

جان : لا اود ان اكون في وضعك .

هنري : (برفق) لست في الورطة يا جان ، فليس بوسعك ان تفهم ولا ان تحكم .

(صمت طويل ثم يُسمع صوت لوسي . انها تداعب شعر فرنسوا دون ان تنظر اليه . لاول مرة منذ بداية المشهد تتكلم بصوت مرتفع .)

لوسي : انك ميت ، وان عيوني جافة . سامحني : فلقد غارت دموعي وبتُّ لا آبه للموت . انهم في الخارج ثلاثمئة يرقدون بين

الأعشاب . وانا ايضاً سأكون غداً باردة وعارية ، ولن تكون ثمة حتى يد تداعب شعري . انت تعلم انه ليس هناك ما يؤسف عليه : الحياة نفسها ليست على جانب كبير من الأهمية. وداعاً. لقد عملت ما كان بوسعك . واذا ما توقفت في الطريق، فلأنه لم تكن عندك بعد القوة الكافية . ولا يحق لاحد ان يلومك .

جان : لا احد . (صمت طويل . يقترب من لوسي ويجلس الى جانبها)

لوسي ! (تبدر منها حركة)لا تطرديني،فأني اودُّ ان اساعدك .

لوسي : (دهشة) تساعدني على اي شيء ? لست بحاجة للمساعدة

جان : بلى ! اظن انك بحاجة للمساعدة لاني اخشى ان تتحطمي .

لوسي : سأصمد جيداً حتى مساء الغد .

جان : ان اعصابك متوترة اكثر مما ينبغي ولن تصمدي . وستخونك الشجاعة فجأة .

لوسي : لماذا تقلق من اجلي? (تنظراليه)انك مكروب.حسناً سأطمئنك ثم تنصرف . لقد اصبح كل شيء سهلاً منذ ان مات الصغير، وباتلا يتوجب علي الا ان اعنى بنفسي.وانت تعلم انني لست بحاجة للشجاعة لأواجه الموت . وعلى كل حال،فأنكتدرك انه لم يكن بوسعي ان اعيش بعده مدة طويلة . والآن إنصرفْ وسأودعك عما قريب عندما يأتون لأخذي .

جان : دعيني ابقى الى جانبك : سألزم الصمت اذا شئتِ ، ولكنني سأكون هناك ، ولن تشعري انك وحدك .

لوسي : لن اشعر أني وحدي ، معك ? انك لم تفهم اذن

يا جان ؟ لم يبق بيننا اي شيء مشترك .

جان : هل نسيت انني احبك ؟

لوسي : انها غيري من كنت تحبها .

جان : بل انت .

لوسي : انا شخص آخر . ولقد بتّ انكر نفسي . لا بدّ ان يكون في رأسي شيء ما محصور .

جان : ربما . ربما اصبحت شخصاً آخر . وفي هذه الحالة فأن هذا الشخص الآخر هو الذي احبه، وغداً سأحب تلك الميتة التي ستكونينها . انت التي احب يا لوسي ، انت ، سعيدةً كنت ام شقية ، حيةً ام ميتة .

لوسي : حسناً . انت تحبني . وبعد ذلك ؟

جان : كنتِ تحبينني أنت ايضاً .

لوسي : اجل . وكنت احب اخي الذي تركتَه يُقتَل . ان حبنا اصبح بعيداً، فلماذا جئت تحدثني عنه ؟ لم تكن له ، حقاً ، أية اهمية .

جان : انك تكذبين ! انت تعلمين انك تكذبين . لقد كان حياتنا ، لا اكثر ولا اقل من حياتنا . وكل ما عشناه ، عشناه معاً .

لوسي : حياتنا ، اجل ومستقبلنا . كنت اعيش في الانتظار وكنت احبك في الانتظار . كنت انتظر نهاية الحرب ، انتظر اليوم الذي نستطيع ان نتزوج فيه امام الناس جميعاً . كنت انتظرك كل مساء : لم يبق لي مستقبـــل ، ولا انتظر بعد الا

موتي ، وسأموت وحيدة . (هنيهة .) دعني ، فلم يبق لدينا ما يقوله احدنا للآخر ؛ انني لا اتألم ولست بحاجة للمؤاساة .

جان : اتعتقدين انني احاول مؤاساتك ؟ انني ارى عينيك الجافتين واعلم ان قلبك جحيم : فليس ثمة اثرٌ للألم بل ولا قطرة من دمع ؛ ولقد ابيضَّ كل شيء من فرط الأحمرار . كم ينبغي ان تتألمي لعدم تألمك . آه ! لقد فكرت مئة مرة في التعذيب ، واستشعرت كل شيء سلفاً ، ولكنني لم اكن اتصور ان التعذيب يُسبِّب الم الكبرياء هذا الفظيع . لوسي ! اودُّ ان اعيد اليك قليلاً من الشفقة على نفسك . اودُّ ان يتراخى رأسك المتوتر وان تُسنديه على كتفي . اجيبيني ! انظري اليَّ .

لوسي : لا تمسَّني .

جان : لوسي ، عبثاً تحاولين . نحن في المصيبة سواء . وكل ما فعلوه بك انما فعلوه بنا كلينا . هذا الألم الذي يفر منك انما هو المي ، وهو ينتظركِ اذا ما ارتميت بين ذراعيَّ ليصبح المنا . ثقي بي يا حبيبتي ، وسيكون بوسعنا ان نقول ايضاً «نحن» وسنكون زوجاً وسنحمل كل شيء معاً ، وحتى موتك . لو كنتِ تجدين دمعةً ...

لوسي : (بعنف) دمعةً ؟ اتمنى شيئاً واحداً هو ان يعودوا لأخذي ، وان يضربوني حتى اتمكن من الصمت ايضاً والأستهزاء بهم والقاء الخوف في قلوبهم . كل شيء باهت هنا : الانتظار وحبك وعبء هذا الرأس على ركبتي . اتمنى ان يفترسني الألم ، اتمنى ان احترق وان الوذ بالصمت وان ارى عيونهم بالمرصاد .

جان : (مرهقاً) لست بعدُ إلاّ صحراء كبرياء .

لوسي : هل هو ذنبي ؟ انما هم طعنوني في كبريائي . انني اكرههم ، ولكنني في قبضتهم . وهم ايضاً في قبضتي . انني اشعر اني اقرب اليهم منك . (تضحك .) نحن ! تريد ان اقول نحن ! هل يكون معصماك محطّمين مثل هنري ؟ هل في ساقيك جروح مثل كانوري ؟ يالها من مهزلة : فأنت لم تشعر بشيء بل تتخيل كل شيء .

جان : المعصمان محطمان ... ها ... اذا كنتم لا تطلبون الا هذا لأصبح منكم ، فسيتم ذلك عما قريب .

(يبحث حوله ويلمح مسند حطب ثقيل فيأخذه . لوسي تقهقه من الضحك)

لوسي : ماذا تفعل ؟

جان : (يمد يده اليسرى على الارض ويضربها بالمسند الذي يمسكه بيده اليمنى) كفاني ما اسمعه من إشادة بآلامكم كأنها عظائم الاعمال . كفاني ان انظر اليكم بأعين ذليلة . ان ما فعلوه بكم يمكنني ان افعله بنفسي : ان ذلك في متناول الجميع .

لوسي : (ضاحكة) عبث ، عبث ما تعمله ! تستطيع ان تحطم عظامك وان تفقأ عينيك : غير انك تظل انت الذي تفرض الملك . اما آلامنا فهي جميعاً هتك لأعراضنا ، لان اناساً آخرين انزلوها بنا . انك لن تدركنا .

(هنيهة . جان يرمي المسند وينظر اليها . ثم ينهض .)

جان : انت على حق ، لن استطيع ان الحق بكم فأنتم مجتمعون وانا وحدي . لن آتي بحركة ولن اكلمكم . سأقبع في

الظلام وستنسون اني موجود . اعتقد ان هـــذا هو نصيبي من هذه القضية وانه ينبغي ان اقبل به كما قبلتم نصيبـــكم . (هنيهة) منذ قليل راودتني فكرة. كان « بيار » قد قتل في جوار كهف « فارفاز » حيث كان معنا اسلحة . فأذا ما اطلقـــوا سراحي فسأذهب للبحث عن جثته،ثم ادس بعض الاوراق في سترته واجره داخل الكهف . انتظروا اربـع ساعات بعد انصرافي وعندما يستأنفون استجوابكم اطلعوهم على هذا المخبأ . فسوف يجدون « بيار » ويحسبون ان الجثة جثتي . وعندئذ اعتقد انه لن يبقى لديهم اي سبب لتعذيبكم وانهم سينتهون منكم بسرعة . هذا كل ما في الامر . وداعاً .

(يتوجه الى داخل القاعة . صمت طويل . ثم تسمع صوت اقدام في الممر . يظهر جندي حاملاً مصباحاً . يدور بالمصباح حول الغرفة .)

الجندي : (وقد شاهد فرنسوا) ما به ؟

لوسي : انه نائم .

الجندي : (لجان) تعالَ انت . فثمة شيء جديد بالنسبة اليك .

(جان يتردد وينظر الى جميع الاشخاص بشيء من اليأس ويتبع الجندي. يغلق الباب .)

المشهد الثالث

كانوري ، هنري ، لوسي

لوسي : لقد نجا من الورطة ، اليس كذلك ؟

كانوري : اعتقد ذلك .

لوسي : حسناً جداً . هذا هو همٌ زال عنـــا . سيعود الى اقرانه وكل شيء سيجري على ما يرام . تعاليـــا الى جانبي (هنري وكانوري يقتربان) اقتربا ايضاً : الآن اصبحنا فيما بيننا ، ماذا يوقفكما ؟ (تنظر اليهما وتفهم) آه ! (هنيهه) كان ينبغي ان يموت ! انتما تعلمان انه كان ينبغي ان يمـــوت . ان الذين هم في الطابق السفلي انما قتلوه بايدينا . تعاليا ، انا اختـه ، واني اقول لكما انكما لستما مذنبين . ابسطا ايديكما عليه ، فقد اصبح منـا منذ وفاته . انظرا كم يبدو قاسي الملامح . انه يُغلق فمه عـــلى سرٍّ . إلمساه .

هنري : (مداعباً شعر فرنسوا) يا صغيري ، يا صغـــيري المسكين .

لوسي : لقد اكرهوك على الصراخ يا هنري . لقد سمعتك . لا بدّ انك شاعرٌ بالخجل .

هنري : اجل .

لوسي : اني اشعر بخجلك مع حرارتك . انه خجلي . كنت اقول له انني كنت وحدي . ولكنني كنت اكذب عليه . حـــين اكون معكما ، لا اشعر بأني وحـــدي . (لكانوري) من المؤسف ان لا تكون قد صرخت .

كانوري : انا ايضاً اشعر بالخجل .

لوسي : غريب ! ولماذا ؟

كانوري : عندما صرخ هنري شعرت بالخجل .

لوسي : حسناً . التصقا بي. اني اشعر بذراعيكما وكتفيكما، وان الصغير يثقل كثيراً ركبتيّ . حسناً . غداً سألزم الصمت . آه ، كم سألزم الصمت ! من اجله ، من اجلي ، من اجل سوربيه ، من اجلكما . لسنا الا شخصاً واحداً .

ستار

اللوحة الرابعة

قبل ان يُرفع الستار ، صوت عامي وبالغ في الضخامة يغني: « لو كان لجميع الازواج المخدوعين جلاجل . » يُرفع الستار عن قاعة الصف . انه صباح اليوم التالي . بلوران يعاقر الشراب ، جالساً على مقعد والاعياء بادٍ عليه . لاندريو يشرب وهو على المنبر . انه نصف ثَمِل . كلوشه واقف بجانب النافذة ، وهو يتثاءب . لاندريو يُقهقه بين الفينة والفينة .

المشهد الاول

بلوران ، لاندريو ، كلوشه

بلوران : لماذا تضحك ؟

لاندريو (يجعل من يده بوقاً ويضعها امام اذنـــه) ماذا ؟

بلوران : اسألك لماذا تضحك .

لاندريو : (يشير الى آلة تضخيم الصوت ويصرخ)بسبب هذا .

بلوران : ماذا ؟

لاندريو : اجل ! ارى ان الفكرة مضحكة .

بلوران : اية فكرة ؟

لاندريو : ان يوضع للأزواج المخدوعين جلاجل !

بلوران : بئس الحال ! لا اسمع شيئاً .

(يتجه نحو الجهاز)

لاندريو : (صارخاً .) لا تُطفيء . (بلوران يُـــدير الزر . صمت .) انت ترى ، انت ترى .

بلوران : (دهشاً) ماذا ارى ؟

لاندريو : البرد .

بلوران : انك مقرور في شهر تموز ؟

لاندريو : اقول لك ان الطقس بارد . انت لا تفهم شيئاً .

بلوران : ماذا كنتَ تقولُ لي ؟

لاندريو : ماذا ؟

بلوران : فيما يختص بالأزواج المخدوعين .

لاندريو : من يكلمك عن الأزواج المخدوعين ؟ انت نفسك زوج مخدوع . (هنيهة) سأستمع الى الأخبار .

(ينهض ويتجه نحو جهاز الراديو .)

كلوشه : ليس هناك اخبار .

لاندريو : أليس هناك اخبار ؟

كلوشه : لم تحن بعد الساعة .

لاندريو : هذا ما سنراه .

(يمسك الزر . موسيقى ، اصوات ضجيج .)

بلوران : انك تحطم آذاننا .

لاندريو : (مخاطباً الجهاز) يا لك من قـذِر ! (هنيهة) ان هذا لا يهمني ، وسأستمع الى الاذاعـة البريطانية . ما هو طول الموجة ؟

بلوران : واحد وعشرون متراً .

(لاندريو يدير الزر : خطاب باللغة التشيكية . لاندريو يأخذ في الضحك)

لاندريو : (ضاحكا :) هـــذه لغـة تشيكية ، اتـــدرك ذلك ؟ في هذه اللحظة يوجد شخص تشيكي يتكلم في لندن ! ان

العالم الكبير (يهز الجهاز) الا تستطيع التحـــدث بالافرنسية (يطفيء الجهاز) أعطني شراباً . (بلوران يصب له قدح خمر . يتجه نحوه ويشرب) ماذا نعمل هنا ؟

بلوران : هنا او في مكان آخر ...

لاندريو : اود ان اكون في المعمعة .

بلوران : اني ارتاب في ذلك .

لاندريو : بكل تأكيد ، اود ان اكون فيها . (يمسكه من ذراع سترته) لا تقل لي انني اخشى الموت .

بلوران : انا لا اقول شيئاً .

لاندريو : ما هو الموت ؟ ما هو ؟ لا بد من ان يدركنا غداً او بعد ثلاثة اشهر .

كلوشه : (بحدة) ليس هـذا صحيحاً . ليس هـذا صحيحاً . سيُقذَف الانكليز الى البحر .

لاندريو : الى البحر ؟ سيكون الانكليز وراءك ، هنا في هذه القرية . وسيحمى الوطيس وتتساقط القنابل على الكنيسة ودار البلدية . ما عساك فاعل يا كلوشه ؟ ستكون في الكهف ! هـا ! هـا ! في الكهف حيث سيلهو النـاس جيداً ! (لبلوران) عندما يموت الانسان ... لقد ضاعت فكرتي . اسمع ُخبثاء الطابق العـلوي ، سنصرعهم ، وذلك لا يبعث فيّ اي شعور ! لكل واحد دوره . هـذا ما اقوله في نفسي . اليوم

دورهم وغداً دوري. أليس هذا طبيعياً ؟ انني انا طبيعي (يشرب) نحن بهائم . (لكلوشه) لماذا تتثاءب ؟

كلوشه : انني ضجر .

لاندريو: ما عليك الا ان تشرب. هل أشعر انا بالضجر ؟ انك تفضل ان تراقبنا ، انك تحرر تقريرك في فكرك (يصب قدح خمر ويقدمه الى كلوشه .) اشرب ، هيا اشرب !

كلوشه : لا استطيع لأن كبدي مريضة .

لاندريو : بل ستشرب هذا القدح والا قذفت به وجهك . (هنيهة . يمد كلوشه يده ويأخذ القدح ويشرب .) ها ! هـــا ! بهائم ، كلهم بهائم ، وهذا حسن جداً . (يسمع صوت خطوات شخص يمشي في العلية . الثلاثة يرفعون عيونهم . يصغون بصمت ثم يشبح لاندريو وجهـــه فجأة ويركض نحو الباب فيفتحه وينادي) كوربيه ! كوربيـــه ! (يظهر جندي) اذهب واسكتهم . اضربهم . (يخرج الجندي . لاندريو يغلق الباب ويعود الى رفاقه، الثلاثة يرفعون رؤوسهم ويصغون. صمت) ينبغي ان نرى وجوههم . يا له من نهار قذر !

بلوران : هل انت بحاجة اليّ لاستجوابهم ؟

لاندريو : وكيف ؟

بلوران : كنت افكّر ان رئيسهم قـــد يكون مختبئاً في الغابة ، فلعلني اصطحب عشرين رجلًا واصطاده في مخبأه .

لاندريو : (ينظر اليه .) آه ؟ (هنيهه . يُسمع دائمـــاً وقـــع الخطـوات .) بل ستبقى هنا .

بلوران : حسناً . (يهز كتفيه .) اننا نضيع وقتنا .

لاندريو : هذا جائز ولكننا سنضيعه معاً .

(ينظرون الى السقف على الرغم منهم ويتبادلون الأجوبة التي تلي ، رافعي الرأس ، حتى تنقطع الضجة .)

كلوشه : لقد حان وقت انزال الصبي .

لاندريو : الصبي ، لا يهمني . انه الآخر الذي اريد ان احمله على الكلام .

بلوران : لن يتكلموا .

لاندريو : بل سيتكلمون . انمـــا هم بهائم وينبغي ان نعرف كيف نأخذهم . ها ! اننا لم نضربهم كفاية . (تدافـع في العلية . ثم صمت. لاندريو مغتبط .) ما رأيك في الأمر ؟ ها هم قد هـدأوا . لا شيء يعادل الشدة .

(يبدو بوضوح ان العناء قد زال عنهم)

كلوشه : على كل حال ينبغي ان تبدأ بالصبي .

لاندريو : موافـق . (يذهب الى الباب .) كوربيه ! (ليس من جواب) كوربيه ! (خطوات مسرعـة في الممر . كوربيه يظهر .) اذهب وائتِ بالصبي .

كوربيه : الصبي ؟ لقد قتلوه

لاندريو : ماذا ؟

كوربيه : لقد قتلوه في اثناء الليل . وجدته وقـــد تراخى رأسه على ركبتي اخته . وقد قالت انه كان نائماً . انه الآن بارد وتبدو على عنقه آثار اصابع .

لاندريو : آه (هنيهة) من الذي كان يمشي ؟

كوربيه : اليوناني .

لاندريو : حسناً . يمكنك ان تنصرف .

(كوربيه ينصرف . صمت . كلوشه يرفع رأسه نحو السقف على الرغم منه)

بلوران : (وقد انفجر) اثنتي عشرة رصاصة في جسمه فوراً. ينبغي ان لا نراه ثانية مطلقاً .

لاندريو : صه ! (يذهب الى الراديو ويدير الزر . فالس بطيء ثم يرجع الى المنبر ويصب لنفسه الشراب . في اللحظة التي يضع فيها قدحه يشاهد صورة « بتان ») انك ترى هذا ، ولكنك تنفض يديك منه . انك تضحي بنفسك، انك تهب نفسك لفرنسا ، ولكن التفاصيل لا تهمك . لقد دخلت في التاريخ ، انت . اما نحن ، فأننا نتمرغ في الاقذار . فيالها من قذارة !

(يقذف وجهه بقدح النبيذ)

كلوشه : لاندريو !

لاندريو : اذكر ذلك في تقريرك . (هنيهة . لقد هدأ بعد جهد. يعود الى بلوران) اثنتا عشرة رصاصة ، هذا غاية في السهولة، وهذا ما يتمنونه ، الا تفهم ذلك ؟

بلوران : هنيئاً لهم اذا كان هذا ما يتمنونه . ولكن يجب ان ننتهي منهم وان لا نراهم بعد الآن ابداً .

لاندريو : لا اريد ان يموتوا من غير ان يتكلموا .

بلوران : لم يبق لديهم ما يقولونه لنا . وقد تسنى لرئيسهم ، خلال الاربع وعشرين ساعة التي قضوها هنا ، ان يتدبر امره .

لاندريو : لا أهتم برئيسهم ، اريد ان يتكلموا !
بلوران : واذا لم يتكلموا ؟
لاندريو : لا تصدع رأسك .
بلوران : ولكن على كل حال ، ما رأيك اذا لم يتكلموا ؟
لاندريو : (صارخاً) قلت لك بان لا تصدع رأسك .
بلوران : اذن ، استقدمهم .
لاندريو : طبعاً سأستقدمهم .
(لا يبدي حراكاً . كلوشه يأخذ في الضحك)
كلوشه : ما قولك لو كانوا شهداء ؟
(لاندريو يذهب فجأة الى الباب)
لاندريو : احضرهم .
كوربيه (وقد ظهر) ثلاثتهم ؟
لاندريو : اجل ! ثلاثتهم .
(كلوشه يخرج)
بلوران : الفتاة ، كان بأمكانك ان تدعها فوق .
(صوت خطوات فوق رأسهم .)
لاندريو : انهم ينزلون. (يذهب الى الراديو ويوقفه) أذا سلموا رئيسهم ، فاني اترك حياتهم سالمة .
كلوشه : لاندريو ! انت مجنون !
لاندريو : إخرس !
كلوشه : انهم يستحقون الموت عشر مرات .
لاندريو : لا اهتم بما يستحقون . اريد ان يُذعنوا . لن ادعهم يتصرفون كالشهداء .
بلوران : انني .... اسمع ، انني لا استطيع تحمل ذلك .

اذا وجب عليَّ ان افكر بأنهم سيحيون وانهم قد يعيشون بعدنا واننا سنبقى طوال حياتهم هذه الذكرى في خيالهم ...

لاندريو : لا تهتم بذلك . فاذا تكلموا لينقذوا حياتهم فأنهم سيتجنبون هـــذا النوع من الذكرى . ها هم قـــد وصلوا

(بلوران ينهض فجأة ويخفي تحت الكرسي الزجاجات والاقداح . ينتظرون ثلاثتهم وقد وقفوا بلا حراك)

المشهد الثاني

الاشخاص انفسهم ، لوسي ، هنري ، كانوري ، ثلاثة جنود

(يتبادلون النظر بصمت)

لاندريو : الصغير الذي كان معكم ، ماذا فعلتم به ؟

(لا يحيرون جواباً)

بلوران : لقد قتلته !

لاندريو : صَهْ (للآخرين) كان يريد ان يتكلم ، اليس كذلك ؟ وكنتم انتم تريدون منعه من ذلك .

لوسي : (بعنف) ليس هذا صحيحاً . لم يكن يريد ان يتكلم . ما من احد كان يريد ان يتكلم .

لاندريو : اذن ؟

هنري : كان صغير السن ، ولم تكن ثمة حاجة لأن ندعه يتعذب .

لاندريو : من منكم اقدم على خنقه ؟

كانوري : لقد قررنا معاً ، ونحن كلنا مسؤولون .

لاندريو : حسناً . (هنيهة) اذا ادليتم بالمعلومات التي تطلب منكم ، فأن حياتكم ستبقى سليمة .

كلوشه : لاندريو !

لاندريو : قلت لك بأن تلزم الصمت (للآخرين) هل تقبلون؟ (هنيهة) اذن ؟ اتجيبون بلا ام نعم؟ (يلزمون الصمت. لاندريو يضطرب) انكم ترفضون ؟ اتضحون بثلاث حيوات لتنقذوا واحدة ؟ يا له من تصرف أخرق ! (هنيهة) انها هي الحياة التي اعرضها عليكم ! الحياة ! الحياة ! هل انتم صمٌ ؟ (صمت ، ثم تتقدم لوسي منهم .)

لوسي : لقد ربحنا ! لقد ربحنا ! ان هذه اللحظة تعوض علينا اشياء كثيرة . كل ما اردت ان انساه هذه الليلة ، اتذكره الآن وانا فخورة بذلك . لقد نزعوا ثوبي . (مشيرة الى كلوشه) كان هذا يجثم على ساقيّ (مشيرة الى لاندريو) وكان هذا يمسك بذراعيّ (مشيرة الى بلوران) وهذا ضاجعني عنوةً . استطيع البوحَ بذلك الآن . استطيع ان اصرخ في وجهكم : لقد هتكتم عرضي وانكم لتخجلون من ذلك . لقد غسلتُ العار . اين ملاقطكم وكلاباتكم ؟ اين سياطكم ؟ انكم في هذه الصبيحة تضرعون الينا ان نعيش . وجوابنا كلا ثم كلا ! ينبغي ان تنهوا عملكم .

بلّوران : كفى ! كفى ! اضربوهم !

لاندريو : توقفوا ! بلّوران ، قد لا ابقى مدة طويلة

رئيساً لكم، ولكني ما دمت اتولى قيادتكم فلن تُناقش اوامري.
خذوهم .

كلوشه : الا تستأنف العمل معهم قليلًا ؟ فكل هذا ما هو الا كلمات : ليس الا كلمات تذهب مع الريح . (مشيراً الى هنري) لقد اتانا ، هذا، امسِ وكان في منتهى الاناقة، وقد جعلناه يصرخ كالنساء .

هنري : سترون اذا كنتم ستحملونني اليوم على الصراخ .

لاندريو : استأنف العمل معهم اذا كانت لديك الشجاعة الكافية .

كلوشه : حين يتعلق الامر بي ، فأنت تعلم ان ذلك لن يضايقني، حتى ولو كانوا شهداء. اني احب العمل بحد ذاته (للجنود) خذوهم الى الطاولات .

كانوري : لحظة . اذا قبلنا ، فما الذي يثبت لنا انكم ستتركون لنا حياتنا ؟

لاندريو : اني اقطع لكم العهد بذلك .

كانوري : اجل ، ينبغي الاكتفاء بذلك . فإما جهة السكة واما الوجه [1] . ما عساكم فاعلون بنا ؟

لاندريو : سأسلمكم للسلطات الألمانية .

كانوري : التي سترمينا بالرصاص .

لاندريو : كلا ! سأشرح لهم وضعكم .

كانوري : حسناً . (هنيهة) انا مستعدٌ للكلام اذا سمح لي

---

[1] الطرة او النقشة كما تقول العامه .

الرفاق بذلك .

هنري : كانوري !

كانوري : الا استطيع الانفراد بهم ! اظن اني سأتمكن من اقناعهم .

لاندريو : (يحدق في وجهه) لماذا تريـــد الكلام ؟ اتخشى الموت ؟

(صمت طويل ، ثم يخفض كانوري رأسه .)

كانوري : اجل .

لوسي : يا لك من جبان !

لاندريو : حسناً . (للجنـود .) انت قف امام النافـــذة ، وانت احرس الباب ،وانتم انصرفوا.لديك ربع ساعة لاقناعهم .

(لاندريو وبلوران وكلوشه يخرجون من الباب الداخلي .)

المشهد الثالث

كانوري ، لوسي ، هنري

(اثناء الجزء الاول من المشهد ، تظل لوسي صامتة وتبدو انها لا تهتم بالنقاش .)

كانوري :(يذهب حتى النافذة ويعود.يعود اليهم وبصوت حاد ومنخفض) الشمس تغيب . ستمُطِر السماء. هل انتم مجانين ؟ انكم تنظرون

اليَّ كما لو كنت مزمعاً على تسليم رئيسنا . اريد ان ارسلهم الى كهف « سارڤاز » وحسب ، عملاً بنصيحة جان لنا (هنية . يبتسم) لقد الحقوا بنا بعض الاذى ، ولكننا لا نزال صالحين للعمل . (هنيهة) هيا ! ينبغي ان نتكلم : لا يجوز ان نفرط بثلاث حيوات . (هنيهة ، برفق) لماذا تريدون الموت ؟ وما جدوى ذلك؟ اجيبوا ، ما جدوى ذلك ؟

هنري : لا شيء .

كانوري : اذن ؟

هنري : انني مُتعب .

كانوري : وانا اكثر منك تعباً . فأنا اكبرك بخمس عشرة سنة ، وقد كانوا عليَّ اقسى منك ولن أحسد على الحياة التي سيتركونها لي .

هنري : (برفق) وهل تخشى الموت الى هذا الحد ؟

كانوري : لست خائفاً . لقد كذبت عليهم منذ قليل ولست خائفاً . ولكن لا يحق لنا ان نموت من اجل لا شيء .

هنري : آه ! ولمَ لا؟ لقد حطموا معصمي وانتزعوا جلدي: اتراني لم ادفع الثمن ؟ لقد كسبنا الجولة . لماذا تريد ان استأنف الحياة حين يكون بوسعي ان اموت منسجماً مع نفسي ؟

كانوري : هناك رفاق ينبغي مساعدتهم .

هنري : اي رفاق ؟ واين ؟

كانوري : في كل مكان .

هنري: كلام ! اذا ما عفوا عنا ، فسيبعثون بنا الى مناجم الملح .

كانوري : وساعتذاك نهرب .

هنري : أأنت تهرب ولم تعد الا خرقة ؟

كانوري : ان لم يكن انا ، فستكون انت .

هنري : حظ واحد على مئة .

كانوري : هذا يكفي للمغامرة . وحتى اذا لم نهرب ، فهناك اناس آخرون في المناجم : كهول مرضى ونساء لا يطيقون الشدة، وهؤلاء جميعاً بحاجة الينا .

هنري : اسمع ، حين شاهدت الصغير ملقىً على الارض وقد ابيضّ تماماً، فكرت بأنني عملت ما عملت وانني لا اندم على شيء. انما كنت افترض ، بالطبع ، انني سأموت من الضجر . ولو لم افكر بأننا سنصبح بعد ست ساعات على كومة الزبل نفسها ... (صارخاً) لا اريد ان احيا بعده ، لا اريد ان احيــا ثلاثين سنة بعد هذا الصبي . كانوري ، سيكون الأمر على غاية من السهولة : لن يكون لدينا حتى الوقت لرؤية انابيب بنادقهم .

كانوري : ليس من حقنا ان نموت من اجل لا شيء .

هنري : ما معنى الحياة حين يكون ثمة اناس ينهالون عليك بالضرب حتى يحطموا عظامك؟ ان كل شيء أسود (ينظر من النافذة) انت على حق ، سيهطل المطر .

كانوري : لقد تلبدت السماء تماماً ، وستمطرنا وابلاً غزيراً .

هنري : (فجأة) لقد كان ذلك بدافع الكبرياء .

كانوري : ماذا ؟

هنري : الصغير . اظن اني قتلته بدافع الكبرياء .

كانوري : ان هذا لا يقدّم ولا يؤخر ، فقــد كان ينبغي ان يموت .

هنري : سأجرُّ هذا الشك ككرة من حديـد . وفي كل لحظة من لحظات حياتي سأتساءل عن نفسي (هنيهة) لا أستطيع ! لا استطيع الحياة .

كانوري : يا لها من حكايات ! سيشغلك الناس كفــاية ، ستنسى نفسك ... انك تُغالي بالاهتمام بنفسك يا هـنري . انت تريد ان تنقذ حياتك ؛ باه ! ينبغي ان نعمل . فاذا انقذنا انفسنا كان ذلك افضل ! (هنيهة) اسمع يا هنري : اذا ما مُتَّ اليوم فقد انتهى الأمر ، وسيرسخ في الأذهان الى الأبد انك قتلته بدافع الكبرياء . واذا ما عشت ...

هنري : ماذا يحدث ؟

كانوري : عندئذ لا يتقرر شيء ، وانما يُحكم على كل عمل من اعمالك بالنسبة الى حياتك كلها . (هنيهة) اذا ما تركتهم يقتلونك عندما يكون بوسعك ان تواصل العمل ، فلن يكونَ ثمةَ شيء محالٌ اكثر من موتك . (هنيهة) أأناديهم ؟

هنري : (مشيراً الى لوسي) عليها ان تبُتّ بالأمر .

كانوري : اتسمعين يا لوسي ؟

لوسي : أبتّ بأي أمر ؟ اجل ! لقد تقرر كل شيء . قل لهم اننا لن نتكلم ، وان عليهم ان يسرعوا .

كانوري : والرفاق يا لوسي ؟

لوسي : لم يبق لي رفاق (تذهب نحو الجنود) اذهبوا ونادوهم .

اننا لن نتكلم .

كانوري : (يتبعها ، ثم مخاطباً الجنود) بقي خمس دقائـــق . انتظروا .

(يعيدها الى الجهة الامامية من المسرح)

لوسي : خمس دقائق . اجل . وماذا تأمل ؟ ان ُتقنعني في خمس دقائق ؟

كانوري : اجل .

لوسي : ما اطهرَ قلبـــك ! تستطيـــع انت ان تعيش . ان ضميرك هادىء ، لقد عذّبوك قليـلًا ، هـذا كل مـــا في الأمر . اما انا فقد أذلـّوني ، فليس في جسدي فترٌ لا يشـــير اشمئزازي (لهنري) وانت ، انت الذي تتـكلف المظاهر لأنك خنقت صبياً ، ألا تذكر ان هذا الصبي كان اخي ، وانني لم اقل شيئاً ؟ لقد اخذت الامر كله على عاتقي، فينبغي ان أُحذف من الوجود ، ومعي هذا الاذى كله . اليكم عني ! انصرفوا الى الحياة ما دمتم تطيقون ان تقبلوا انفسكم . اما انا فأني اكره نفسي واتمنى بعد موتي ان يصبح كل شيء على الارض كما لو انني لم أُخلق قط .

هنري : لن اتركك يا لوسي ، وسأنفـّذ ما سوف تقررينه .

(هنيهة)

كانوري : ينبغي اذن ان اخلـّصكم على الرغم منكم .

لوسي : ستتكلم ؟

كانوري : لا بد من ذلك .

لوسي : (بعنف)سأقول لهم انك تكذب وان مزاعمك محض

اختلاق (هنيهة) لو علمتُ انك ستدلي بأعترافاتك ، اتظن انني كنت تركتك تمسّ اخي ؟

كانوري : ان اخاكِ كان يريد ان يُسلِّم رئيسنا . اما انا فأني اريد ان اضللهم .

لوسي : النتيجة واحدة ، وستنتشي اعينهم بالنصر نفسه .

كانوري : لوسي ! اتكونين اذن قد تركت اخاك يموت بدافع الكبرياء ؟

لوسي : انك تضيع وقتك ، ولن تستطيع ان تبعث في نفسي الندم .

جندي : يبقى لكم دقيقتان .

كانوري : هنري !

هنري : سأنفذ ما سوف تقرره .

كانوري : (للوسي) لماذا تهتمين بهؤلاء الرجال ؟ بعد ستة اشهر ، سوف يختبئون في كهف ، واول قنبلة ستلقى عليهم من كوّة ذلك الكهف ستضع حداً لهذه الحكاية برمتها . ان الباقي هو الذي ينبغي ان يُحسب له الحساب : العالم وما تعملين في العالم ، والرفاق وما تعملين من اجلهم .

لوسي : انني جافة ، انني وحيدة ، وانا لا استطيع ان افكر الا في نفسي .

كانوري : (برفق) احقاً انك لا تأسفين على شيء في هذا العالم ؟ .

لوسي : اجل ، فكل شيء مسمّم .

كانوري : واذن ..

(حركة اذعان . يخطو خطوة من الجنود . المطر يهطل . تبتدىء القطرات خفيفة متباعدة ثم تصبح كبيرة عجلى)

لوسي : (بحدة) ماهذا ؟ (بصوت خافت وبطيء) المطر (تتجه الى النافذة وتتأمل هطول المطر . هنيهة) منذ ثلاثة اشهر لم اسمع صوت المطر . (هنيهة) يا الهي ! وخلال ذلك الوقت كله كان الطقس جميلا. ان هذا لفظيع . بت لا اتذكر. كنت اظن انه ينبغي ان نعيش دائماً تحت الشمس . (هنيهة) المطر يهطل بغزارة وستعبق رائحة الأرض المبللة (شفتاها ترتجفان) لا اريد ... لا اريد (هنري وكانوري يقتربان منها)

هنري : لوسي !

لوسي : لا اريد ان ابكي ، والا اصبحت كالبهائم . (هنري يأخذها بين ذراعيه) اتركني (صارخة) كنت احب ان اعيش ، كنت احب ان اعيش . (تنتحب على كتف هنري)

الجندي : (متقدماً) اذن ؟ لقد ازفت الساعة .

كانوري : (بعد ان يلقي نظرة على لوسي) اذهب وقل لرؤسائك اننا سنتكلم .

(يخرج الجندي . هنيهة)

لوسي : (وقد استعادت رباطة جأشها)هل هذا صحيح ؟ سنعيش؟ كنت قد اصبحت في الجانب الآخر ... انظر اليّ وابتسم لي . منذ زمن بعيد لم ارَ ابتسامة .. اترانا نحسن التصرّف يا كانوري؟ هل نحسن التصرف ؟

كانوري : اننا نُحسِن التصرف . ينبغي ان نعيش

(يتقدم من احد الجنود) اذهب وقل لرؤسائك اننا سنتكلم .
(يخرج الجندي)

المشهد الرابع

الاشخاص انفسهم ، لاندريو ،بلّوران ، كلوشه

لاندريو : واذن ؟

كانوري : على طريق غرنوبل ، عند العلامة ٤٢ ، اسلكوا الطريق للجهة اليمنى . وبعد ان تسـيروا خمسين متراً في الحرج ، تجدون غابة ووراء الغابة كهفاً . ان الرئيس يختبيء هناك مـع كمية من الذخيرة .

لاندريو : (للجنود) ينبغي ان يتوجه عشرة رجال في الحال. حاولوا ان تأتوا به حياً (هنيهة) خذوا السجناء الى الطابق العلوي .
(الجنود يخرجون السجناء . كلوشه يتردد لحظة ثم ينسل وراءهم)

المشهد الخامس

لاندريو ، بلوران ، ثم كلوشه

بلوران : اتعتقد انهم ادلوا بالحقيقة ؟

لاندريو : طبعاً – انهم بهائم (يجلس وراء المنضدة) ارأيت ؟ لقد تغلبنا عليهم في النهاية . هل لاحظت كيف خرجوا ؟ كانوا اقل غطرسة مما كانوا ساعة دخولهم . (كلوشه يعود بلطف) واذن يا كلوشه ؟ لقد تغلبنا عليهم ؟

كلوشه (يفرك يديه وقد بدا شارد الفكر) اجل ، اجل ، لقد تغلبنا عليهم .

بلّوران : (للاندريو) اتدعهم يعيشون ؟

لاندريو : على كل حال، الآن . . (طلقات بنادق تحت النوافذ) ما هذا . . ؟

(كلوشه يضحك وراء يده وقد بدا مرتبكا) كلوشه ! اتكون قد . .

(كلوشه يشير بالايجاب وهو يستمر في الضحك)

كلوشه : لقد فكرت ان ذلك اكثر انسانية .

لاندريو : يالك من قذِر !

(طلقات بنادق للمرة الثانية. يعدو نحو النافذة)

بلوران : لا تهتم بالامر بعد ، ليس هناك اثنان إلا ووراءهما ثالث .

لاندريو : لا اريد . . .

بلوران : ستكون سحنتنا لطيفة في عيني من سيعيش منهم . . .

كلوشه : بعد لحظة ، لن يفكر احدٌ بعد بشيء من هـذا كله . لن يفكر احدٌ سوانا .

(طلقات بنادق للمرة الثالثة . لاندريو يهوي جالساً)

لاندريو : اف !.

(كلوشه يذهب الى الراديو ويدير الازرار . موسيقى)

ستار